سلسلة المنظومة التربوية (٦)

التربية الإبداعية في المنهج الإسلامي

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ التربية الإسلامية
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



التربية الإبداعية

في المنهج الإسلامي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلسلة المنظومة التربوية (٦)

التربية الإبداعية

في المنهج الإسلامي

إعداد

أ. د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ التربية الإسلامية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



ⓒ مكتبة خالد الحازمي ، ١٤٢٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحازمي ، خالد حامد

التربية الإبداعية في المنهج الإسلامي / خالد حامد الحازمي

المدينة المنورة ، ١٤٢٥ هـ

٨٠ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٩ ـ ٨٨١ ـ ٤٤ ـ ٩٩٦٠

١ ـ التربية الإسلامية ٢ ـ الإبداع ٣ ـ الإسلام والعلم أ. العنوان

ديوي ٣٧٧،١ ١٤٢٥ / ٢٣٥٢

رقم الإيداع: ٢٣٥٢ / ١٤٢٥

ردمك: ٩ ـ ٨٨١ ـ ٤٤ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م



المملكة العربية السعودية – المدينة المنورة – ص.ب ١٥٥٦
شارع الستين – هاتف: ٨٣٦٦٦٦٦ – فاكس: ٨٣٨٣٢٢٦
شارع الضيافة – إمتداد شارع أبا ذر هاتف: ٨٣٦٢٩٩٣ – هاتف وفاكس: ٨٣٤٤٩٤٦
موقعنا على الإنترنت : www.daralzaman.com
البريد الإلكتروني: zaman@daralzaman.com

Saudi Arabia - Medina Monawara - P.O.BOX.: 1556
Al-Sittin Str. _ Tel: 8366666 - Fax: 8383226
Al-Diafa Str.- Aba Zar Str. Tel: 8362993 Telefax: 8344946
website: www.daralzaman.com
email : zaman@daralzaman.com

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، أما بعد: -

فإن من فضل الله تعالى وامتنانه أن يسر وسهل إعداد هذه الدراسة التربوية لموضوع بالغ الأهمية متعلق ببيان مفهوم الإبداع وحدوده ومعوقاته وأسباب حصوله، من خلال منهج التربية الإسلامية، خاصة في هذا العصر الذي يبحث فيه كثير من الناس عن منهجية الإبداع وسُبُل تحققه.

وبالرغم من الدراسات التربوية التي تناولت هذا الموضوع في جانبه التطبيقي إلا أن بيان مقاصد التربية الإسلامية ومنهجيتها في بناء هذا الجانب لا زالت تحتاج إلى مزيد من الطرح، ليتأكد للدارسين والمهتمين العناية الفائقة والمنهجية الدقيقة التي أولتها التربية الإسلامية لهذا الموضوع التربوي المهم.

ويعتبر الإبداع من الجوانب التربوية المهمة التي تستحق العناية، بالبحث والدراسة والتطبيق، وذلك لما يترتب على الإبداع من التطور العلمي، والتقني والمهني والثقافي والاقتصادي، وفي جميع المجالات.

ومن ناحية أخرى فإن الأمة تحتاج إلى قوة تتقوى بها على حماية معتقداتها، ونشر الحق، وتمكين أصحابها من الأخذ بزمام القيادة والمبادرة، وهذا يتطلب أن تكون الأمة قوية في اقتصادها وتجارتها وصناعتها وزراعتها وطبها وإدارتها، وهذا لا يمكن إلا بتربية الإنسان في جميع جوانبه، والتي منها الجانب الإبداعي.

وبالرغم من أهمية الإبداع إلا إن له خطورة إذا سار في ظل منهج منحرف، فيحرف المبدعين والموهوبين إلى وجهة غير صحيحة، قد تكون مدمرة للمجتمع ومفسدة له، كالإبداع في بعض المجالات التي تمخض عنها بعض النتاج المتعارض مع منهج الإسلام وهديه، كالاستنساخ مثلاً.

وهذا يؤكد أهمية الاهتمام بالتوجيه الإبداعي نحو الصلاح، كما يؤكد أهمية العناية بعقل الإنسان والمحافظة عليه، فكلما كان العقل مصانا من الانحراف موجهاً توجيهاً صحيحاً، ازداد قوة ونشاطاً، وإدراكاً وسلامة. وكلما انحرف عن جادة الطريق، تاه وعدل عن الحق، وسخر الإنتاج الإنساني إلى ما يضره، ويضر أفراد المجتمع.

والتربية الإسلامية اهتمت بجانب الإبداع، وحمَّلت الإنسان مسؤولية الأعمال التي يقوم بها، كما اهتمت بجانب العقل الذي يعتبر أحد الضروريات الخمس التي حافظت عليها الشريعة الإسلامية.

ولما أن الإبداع الصحيح يعتمد على العقل السليم فلابد من تناول موضوع التربية العقلية التي تمثل فكر الإنسان وما يحمله من مفاهيم صحيحة أو مغلوطة.

وتبرز أهمية هذا الموضوع من أهمية الإبداع، وأهمية حفظ العقل وتنميته، وإبعاده عن الزيغ والضلال، لأن هناك من أفرط في

هذا الجانب، وهناك من فرط في الاستفادة منه. والتربية الإسلامية لا تغالي فيه ولا تجافيه، بل تضعه في مكانه الذي ينبغي أن يكون فيه.

فالبعض أفرط، فقدمه على الشرع، فحصل الزلل والخلل والضلال، والبعض زهد فيه ولم يهتم به، واعتبر الحديث فيه وعنه من منهج أهل البدع والكلام، وقد قال الإمام ابن تيمية عن العلوم «منها ما يُعلم إلا بالأدلة العقلية التي بينها القرآن وأرشد إليها الرسول ﷺ، فينبغي أن يعرف أن أجل الأدلة العقلية وأكملها وأفضلها مأخوذ عن الرسول ﷺ.

فإن من الناس من يذهل عن هذا، فمنهم من يقدح في الدلائل العقلية مطلقا، لأنه قد صار في ذهنه أنها هي الكلام المبتدع الذي أحدثه من أحدثه من المتكلمين، ومنهم من يعرض عن تدبر القرآن وطلب الدلائل اليقينية العقلية منه، لأنه قد صار في ذهنه أن القرآن إنما يدل بطريق الخبر فقط، فلا بد أن يعلم بالعقل قبل ذلك ثبوت النبوة وصدق الخبر، حتى يستدل بعد ذلك بخبر من ثبت بالعقل صدقة»[1]. وصحيح المنقول لا يخالف صريح المعقول، فالعقل السليم لا يتعارض مع الشرع أبداً، وإنما التعارض يأتي من الزيغ والهوى، ومن الغذاء المعرفي بمناهج المتكلمين والمتفلسفين.

وأما أولو الألباب فهم الذين إذا تأملوا في ملكوت الله ازدادوا إيمانا، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

وقد خاطب القرآن أولي الألباب لتأكد ما فطر عليه الإنسان من

(١) ابن تيمية، الفتاوى (١٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨).

(٢) سورة آل عمران : آية رقم (١٩٠).

الإيمان بالربوبية[١] قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾[٢].

فإذا كان من المستحيل أن يخلق الإنسان نفسه، ومن المستحيل أن يُخلق من غير خالق، فلم يبق إلا الاعتراف والركون إلى الفطرة السليمة، من أن هناك خالق خلق الإنسان والسموات والأرض وقدّر فيها أقواتها، وهو الله سبحانه وتعالى.

وهذا استدلال وتوجيه ومخاطبة لعقل الإنسان، وهو ما يسمى عند الأصوليين بالسبر والتقسيم، ولذلك لما سمع هذه السورة جُبير بن مطعم قبل إسلامه تأثر بها، وكانت دعوة مؤثرة قوية حملته على الإسراع إلى الإسلام، حيث قال: (سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير للإسلام)[٣].

قال الخطابي: كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها، ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه[٤].

فالاهتمام بحفظ العقل والعناية به أمر مهم، لأن العقل السليم يتأثر بالنقل الصحيح، ولذلك لا بد من المحافظة عليه من المؤثرات الفاسدة.

---

(١) حيث جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾.

(٢) سورة الطور: آية رقم (٣٥ ـ ٣٧).

(٣) البخاري (٣/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) برقم (٤٨٥٤).

(٤) ابن حجر، فتح الباري (٨/ ٦٠٣)

والتربية الإبداعية هي التي تهتم بحفظ العقل من الزيغ والافتتان باللّهو والهوى، كما تجنبه ما يهدم العقل من علوم فلسفية وكلامية. ومن جانب آخر تتطلع التربية الإسلامية إلى تنمية الجانب الإبداعي بما يجعل الفرد يُحسن تدبير أموره، ويبدع في مهنته ويرقى بها، حتى يكون أكثر إنتاجاً وأدق عملاً في أقصر وقت وبأقل تكلفة وجهد، وهذا يتطلب عناية بجانب الابتكار، وهو ما سوف يبينه هذا البحث من خلال عناية التربية الإسلامية بالتربية الإبداعية، وحفظ العقل.

ولقد تم نشر هذه الدراسة في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٢٢هـ ضمن العدد (١١٦) للسنة (٣٤). شاكراً ومقدراً للجامعة كريم اهتمامها وعنايتها.

وقد رأيت أن أضيف وأحسن في هذه الدراسة بما أرى أنه يضفي عليها مزيداً من الفائدة التي أرجو أن تكون قد تحققت.

وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به من اطلع عليه سماعاً أو قراءة، وأن يجعله ذخراً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المؤلف
أ.د.خالد بن حامد الحازمي
المدينة المنورة
٤/٣/١٤٢٥هـ

المبحث الأول

الإبداع في التربية الإسلامية

مفهوم الإبداع:

يعرف الإبداع في اللغة بعدة دلالات لغوية[١]:

بدع الشيء يبدعه بدعاً، وابتداعاً: أنشأه وبدأه.

والبديع: الشيء الذي يكون أولاً.

والمبتدع: الذي يأتي أمراً على شبه لم يكن ابتدأه إياه. وفلان بدع في هذا الأمر أي أول، لم يسبقه أحد.

والبديع: المحدث العجيب. وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال.

ومن تلك المعاني اللغوية يتضح أن الإبداع هو الاختراع والابتكار على وجه لم يسبق إليه أحد.

وقد ذكر المهتمون بالدراسات التربوية مفاهيماً متقاربة لمعنى الإبداع فهو «تنشئة الناشئين وإعدادهم على نحو يستطيعون في مجال تخصصاتهم الإيجاد والابتكار والإتقان والتحسين»[٢].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٨/٦).

(٢) مقداد يالجن، جوانب التربية الإسلامية، ص (٤٨٨).

ويعرفه آخر بأنه: عملية إنتاج شيء جديد سواء كان اختراعاً أو فكرة، ويجب أن يكون أصيلا وحديثا[١].

وبالتالي يمكن تعريف الإبداع، والتربية الإبداعية بما يلي:

الإبداع: هو الاختراع والابتكار والتطوير المفيد غير المسبوق، وفق الضوابط الشرعية.

التربية الإبداعية: هي عملية إعداد الأفراد إعداداً علمياً يمكنهم من التطوير والابتكار، وفق استعداداتهم وميولهم، حسب الضوابط الإسلامية.

ومن التعريفات السابقة يتضح أن عملية الإبداع ليست محصورة في جوانب أو مجالات دون أخرى، بل تكون في الميادين الإدارية، والاقتصادية، والمهنية، وفي مجال البحث العلمي، و في حل المشكلات والمعضلات العامة والخاصة.

وهذا يعزز أهمية إيضاح مثل هذه المفاهيم، لما يترتب عليها من حصر أفراد بعض الشيء دون كلياته، أو ما يتعلق ببعض المفاهيم الخاطئة التي تحصر الإبداع في مجالات التقنية الظاهرة، دون الجوانب الأخرى.



(١) حلمي المليجي، جوانب علم النفس المعاصر، ص (٢٣٥).

اهتمام التربية الإسلامية بالإبداع

لقد اهتمت التربية الإسلامية بقضية الإبداع اهتماماً كبيراً في مجالاته المتعددة، بما يحقق للإسلام والمسلمين والبشرية النفع والتقدم، كما أنها ضبطت ووجهت عملية الإبداع توجيهاً خيراً، بعيداً عن الإفساد والدمار، الأمر الذي يكسبها الخيرية في الهدف والوسيلة والاستخدام.

ونظراً لكثرة مجالات الإبداع وتنوعها بما لا يسع المقام لذكرها، فهذه بعض النماذج الإبداعية في عدد من المجالات العامة:

١ - الإبداع العلمي:

لقد جاء الإسلام والناس في جاهلية جهلاء، في عباداتهم واعتقاداتهم وأخلاقهم، وفي علومهم ومعارفهم، حتى أن عدد الذين يقرؤون ويكتبون في قريش هم سبعة عشر رجلا، منهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم -[(١)].

وجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدد يكتبون، منهم: سعد ابن عبادة، والمنذر بن عمرو، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، فكان يكتب العربية والعبرية - رضي الله عنه -[(٢)].

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص (٦٦٠).

(٢) المرجع السابق، ص (٦٦٣).

وقد وجه الإسلام إلى الإبداع العلمي عن طريق مفاتحه، التي منها:

١ ـ الدعوة إلى التعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[(١)].

٢ ـ رفع مكانة العلم والعلماء، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[(٢)].

ونتج عن هذا التشجيع وهذه العناية الإسلامية بالعلم أن اشتغل كثير من المسلمين بالعلم والتصنيف في سائر العلوم النافعة، وقاموا بتشييد المكتبات العلمية والمدارس، وإنشاء الوقف لها بما يمكنها من الاستمرارية دون تأثر بالتقلبات الاقتصادية أو التغيرات السياسية.

وبعدما جاء الإسلام تفتقت تلك العقول وأبدعت في تفوقها، وتواصل هذا الإبداع في الأمة، فتولدت علوم ومعارف، ما كان لأحد قبلهم بها معرفة، ومن ذلك: علم أصول الفقه، الذي أول من صنف فيه الإمام الشافعي، وأول من صنف في الفقه الإمام مالك بن أنس، وأول من صنف في غريب القرآن الكريم أبو عبيدة معمر بن المثنى، وأول من عمل العَروض هو الخليل بن أحمد، وأول من وضع الإعراب أبو الأسود الدؤلي، وأول من صنف في صنعة الشعر عبد الله بن المعتز[(٣)].

ولقد برع المسلمون في العلوم التجريبية، وأسسوا قواعدها

(١) سورة التوبة: آية رقم (١٢٢).
(٢) سورة المجادلة: آية رقم (١١).
(٣) أبو هلال العسكري، الأوائل، ص (٢٥٣ ـ ٢٦٦) ملخص.

ونواتها، ففي مجال الصيدلة: هم أول من اخترع الكحول، والمستحلبات، والخلاصات العطرية، واستخدم الرازي لأول مرة الزئبق في تركيب المراهم، وهم أول من غلف حبات الأدوية المرة بغلاف من السكر، ليتمكن المريض من استساغة الدواء، وهم أول من غلف الأدوية المعمولة على شكل حبوب، كما برعوا وابتكروا تحضير وضع وتركيب الضمادات والمساحيق واللزوق، وقد وقفوا على صنع مراهم تجف مع الوقت، كشماعات أو غطاء للجروح الحديثة، ومن أشهر من برع في علم الأدوية عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الكريم بن واقد، المتوفى سنة ٤٦٧هـ ـ ١٠٧٤م[١].

وفي علم التشريح تم اكتشاف الدورة الدموية الصغرى (الدورة الدموية الرئوية) وكذلك الدورة الشريانية من قبل ابن النفيس، واكتشفوا عدد الأغشية القلبية، ووظيفتها، واتجاه فتحاتها لمرور الدم، وبرعوا في تشريح العيون وجراحتها، واكتشفوا أن العضلات المحركة للمقل ست عضلات، وبينوا أن العين آلة للبصر وليست باصرة[٢].

وفي علم الرياضيات هم أول من أسس (اللوغارتمات) فلقد ولد ونشأ وترعرع علم اللوغارتمات في البلاد الإسلامية، الذي يرجع في تكوينه لجهود سلسلة من الابتكارات على يد عدد من علماء الرياضيات، مثل: سنان بن الفتح الحراني، وابن يونس الصدفي المصري، وأبو الحسن علي النسوي، وابن حمزة المغربي[٣].

فهذه الشواهد تعطي دلالات عميقة بأن الإسلام فتق عن تلك العقول الصامته لتبدع في جميع المجالات العلمية، بعد أن كانت لا

(١) حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص (٣٤٠ ـ ٣٤٢).
(٢) المرجع السابق، ص (٦٧ ـ ٦٩).
(٣) المرجع السابق، ص (١٣٩ ـ ١٤٢).

تحسن القراءة والكتابة، مما يؤكد عمق التربية الإسلامية واستيعابها لكل ما يخدم الإنسان والبشرية جمعا، وأنها نور يحرك الأفئدة نحو العطاء، مما يؤكد أن الدور التربوي يقع اليوم على المؤسسات التربوية لتغرس ذلك في الأجيال، بما يشعرها بماضيها المضيء، وعلى أكتافهم يرتقي البحث العلمي في ميادينه المختلفة.

٢ - الإبداع في التخطيط الحربي:

إن الإبداع التخطيطي الحربي لا يقل أهمية عن قوة العتاد، بل ربما يفوق قوة الترسانة الحربية من حيث التأثير في مسار المعركة. والرسول ﷺ لم يهمل هذا الجانب، بل كان يأخذ بما تتفتق عنه عقول المبدعين من الصحابة رضي الله عنهم، ومن ذلك أنه في معركة بدر نزل رسول الله ﷺ بأدنى ماء من بدر، فقال الحُبَاب بن المنذر بن الجموح: يارسول الله، أرأيت هذا المنزل؟ أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال ﷺ: **بل هو الرأي والحرب والمكيدة**، فقال: يارسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فننزّله، ثم نُغَوِّر ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: **لقد أشرت بالرأي**، فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقُلُب فَغُوِّرت، وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه، فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية[١].

ويلاحظ في هذه المشورة الإبداعية، عناية الصحابة بالحكم الشرعي وتقديمه على العقل، حيث قال الحُباب بن المنذر: يا رسول

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/ ٢٧٢).

الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله تعالى، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فَيُفْهَم من ذلك، إن كان الأمر وحياً فالعقل تابع له، وليس للرأي مكان، وأما إن كان الأمر جهداً عقلياً تخطيطياً فعندي في الأمر رأي.

ومن اللطائف التي يمكن استنتاجها، أنه لم يبين رأيه إلا بعد أن سمع من رسول الله ﷺ القول الفصل، بأن الأمر ليس وحياً، بل رأياً، وهكذا نريد أن تكون التربية العقلية الإبداعية تهتم بالجانب التفكيري العقلي، ولكن تجعله يستظل ويسير تحت مظلة الشرع الحنيف، لا في مقدمته.

وأيضاً يتجلى الإبداع التخطيطي الحربي في مشورة سلمان الفارسي بحفر الخندق في غزوة الأحزاب (الخندق)[١] فكان حفر الخندق عملاً إبداعياً لم تعرفه العرب من قبل، فكان ذلك أحد الأسباب في صد عساكر المشركين، بتوفيق الله تعالى ونصره.

فهذه الشواهد تؤكد حقيقة مؤداها أن النبي ﷺ يعطي لذوي العقول المبدعة حقها من النظر والتشجيع البناء، ومن ثم الاستفادة مما يتولد عن أولئك من أفكار تخطيطية تسهم في أسباب النصر، بما يؤكد أن التربية الإسلامية تعطي في مضامينها التربوية معطيات تحقق للبيئات التربوية قواعد وأسس منهجية عملية للمناهج الدراسية.

كما أن مجال العرض والحوار التربوي يخرج ويكشف عن تلك المواهب، ويبرز مكنونها الإبداعي، وما الأنشطة الصفية وغير الصفية إلا وسيلة تربوية لتحقيق ذلك.

ومن هنا فإن المنهاج الدراسي وطرائق التدريس ينبغي أن تنطلق من مثل هذه الأساليب النبوية التربوية العظيمة.

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

٣ ـ الإبداع المهني:

إن الإبداع المهني لا يعتمد على الخبرة والمهارة اليدوية فقط، بل لا بد من وجود عامل الذكاء، والتفكير والتطلع إلى التحسين والإصلاح والتطوير.

والتربية الإسلامية لا تعارض ذلك بل تحفز العقول على الابتكار والإبداع في المجال العملي والمهني[١] ومن الشواهد على ذلك:

قول النبي ﷺ (لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره؛ فيتصدق به ويستغني به من الناس، خير له من أن يسأل رجلاً، أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول)[٢] وفي هذا الحديث بيان لأهمية المهنة التي تكف الإنسان عن المسألة، كما أن في الحث على التكسب والنهي عن المسألة أول مفاتح الإبداع المهني، لأن المرء لا يبدع مهنياً ما لم تكن له صنعة يتخذها.

وقد كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع في المسجد قائما، فقال: إنَّ القيام قد شق عليّ، فقال له تميم الداري: ألا أعمل لك منبرا، كما رأيت يُصنع بالشام؟ فشاور رسول الله ﷺ المسلمين في ذلك، فرأوا أن يتخذه، فقال العباس بن عبد المطلب: إنَّ لي غلاما يقال له كلاب، أعملُ الناس، فقال رسول الله ﷺ: مره أن يعمله، فأرسله إلى أثلة بالغابة فقطعها، ثم عمل منها درجتين ومقعد[٣] فظهر الإبداع المشوري من تميم الداري بصنع منبرا، ثم ظهر الإبداع المهني من غلام العباس بن عبد المطلب، حيث كان أعملُ الناس، فأخذ ﷺ من كل شخص ما يُحسن ويُجيد فيه: من مشورة

---

(١) عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص (٤٢٤).

(٢) البخاري (٢/ ٨١) برقم (٢٠٧٤).

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى (١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

وصنعة، وفي هذا تشجيع منه ﷺ، وتأييد للأعمال الإبداعية المفيدة.

وهذا يرسم للمؤسسات التعليمية قواعد تربوية في المجال المهني، ويؤكد لها أهمية العناية بالدروس المهنية النافعة التي تستثمر العقول، وتزيل حواجز الخجل من الأعمال والصنائع التي يعرض ويعزف عنها كثير ممن لم يرتق في السلم التعليمي.

فبعض ممن لم يستطع مواصلة دراسته يأنف من العمل في الصنائع المهنية التي ربما لو عمل فيها لكان مبدعاً، يشار إليه بالتفوق الذي ربما لا يحققه في السلم التعليمي. وقد أشار ابن قيم الجوزية إلى أهمية مراعاة استعدادات الصبي لما هو مهيأ له، فيذكر أنه مما ينبغي أن يعتمد حال الصبي، وما هو مستعد له من الأعمال، ومهيأ له منها، فيعلم أنه مخلوق له، فلا يحمله على غيره، ما كان مأذوناً فيه شرعاً، فإنه إن حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه، وفاته ما هو مهيأ له، فإذا رآه حسن الفهم، صحيح الإدراك، جيد الحفظ واعياً، فهذه من علامات قبول العلم، وإن رآه بخلاف ذلك، ورأى عينه مفتوحة إلى صنعة من الصنائع، مستعداً لها، وهي صناعة مباحة نافعة للناس، فليمكنه منها، وهذا كله بعد تعليمه ما يحتاج إليه في دينه[١].

ومن هنا لابد للمنهج التعليمي أن يراعي ويحقق الميول لدى الدارسين بأهمية الأعمال المهنية، من خلال دراسة السيرة النبوية، وسير الأنبياء عليهم السلام، وكذلك الصحابة، وعلماء الأمة، فقد «كان داود زرادا، وكان آدم حراثا، وكان نوح نجارا، وكان إدريس خياطا، وكان موسى راعيا»[٢]. وكان الإمام أبي حنيفة يتجر في الخز،

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، ص (١٤٧ ـ ١٤٨).
(٢) ابن حجر، فتح الباري (٤/٣٠٧).

وكان ماهراً فيه[١]. وكان الإمام أحمد بن حنبل يعمل التكك ويبيعها، ويتقوت بها[٢].

فمهمة المؤسسات التعليمية أن تغرس ذلك في أفراد الأمة ليبدع الإنسان فيما هيأ له.

٤ ـ الإبداع الأدبي:

لقد اهتمت التربية الإسلامية بعملية الإبداع الأدبي، ووجهت القرائح الشعرية التوجيه الصحيح الذي يحقق حُسن الاستفادة منها، ومن ذلك توجيه الرسول ﷺ حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، إلى تسليط قرائحهم الإبداعية الشعرية على المشركين، قال ابن سيرين: انتدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، فكان حسان وكعب يعارضانهم، مثل قولهم في الوقائع والأيام والمآثر، ويذكرون مثالبهم، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، وبعبادة مالا يسمع ولا ينفع[٣].

وهذا يؤكد تفاوت الناس فيما يحسنون ويبدعون. ومنهج التربية الإسلامية يراعي هذه الفوارق، ويشجع أصحابها ليتفوقوا فيما هيؤا له، فالشاعر والكاتب والصحفي المبدع إذا أُحسن توجيهه تفوق وخدم الأمة، وصخر بيانه في توجيه الناس للخير، من خلال الكلمة الجميلة والعبارة اللطيفة، والأسلوب الجذاب المؤثر، فكم من كلمة جمعت شتاتا، وقصيدة غرست فضائل، وكم من قلم ضمد جراحا، وكم من

---

(١) شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي، الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة، ص (٨٣).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء (١١/١٩٣).

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة (٢/٦).

بيان ألف بين قلوب قد تنافرت، وأثر هذا لا يكون إلا من صاحب البيان المبدع.

وهذا رسول الله ﷺ يؤكد في منهجية تعامله التربوي تلك الجوانب التي يتباين فيها الأفراد، فعن أنس ﵁ (أن رسول الله ﷺ قال: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهُم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضُهُم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[١].

وقد تولى خالد بن الوليد ﵁ قيادة الجيوش، وتعلم زيد بن ثابت العبرية ﵁، مما يؤكد عناية المنهج الإسلامي في تطبيقاته العملية مراعاة القدرات والإمكانات لكل فرد من الأفراد.

فالإنسان يكون مبدعاً عندما يقوم بعمل يتوافق مع قدراته وميوله وإمكاناته.

ولذلك فإن المنهاج الدراسي الجيد هو الذي يعتني بكل الجوانب التربوية، ويوجهها بحسب قدراتها وإمكاناتها، لأن أغلب الناس إذا أخفق في جوانب نبغ وأبدع في جانب أو جوانب أخرى إذا وجد التوجيه والرعاية التربوية الصحيحة.



(١) أحمد (٣/ ١٨٤) وابن ماجه (١/ ٥٥) برقم (١٥٤) والمستدرك (٣/ ٤٢٢) وغيرهم. وقال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢١٦) برقم (٨٩٥ ـ ٤٤٠)

حـدود الإبـداع

إن الإبداع هو الاختراع والابتكار، كما تم بيانه سابقاً، ولكن للإبداع شروطاً وحدوداً في التربية الإسلامية، بأن لا يتعارض مع المنهج الإسلامي، لا في كلياته ولا في جزئياته.

ذلك أن حقيقة الإبداع تتمحور في اتباع الرسول ﷺ وما كان عليه سلف الأمة الصالح، والحرص على السير في ركابهم، وعدم الإتيان بما يخالف منهجهم.

وثمة أمر هام لا يجوز الابتداع فيه بأي حال من الأحوال، وبأي دعوة أو إدعاء، وهو الابتداع في الدين، لأن الله تعالى أكمل هذا الدين بنص كلام رب العالمين في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1].

وقال ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)[2].
وقال ﷺ (وكل بدعة ضلالة)[3].

فالإحداث في الدين بزيادة أو تعديل أو نقصان ابتداع مخالف

(١) سورة المائدة: آية رقم (٣).
(٢) البخاري (٢/ ٢٦٧) برقم (٢٦٩٧)
(٣) مسلم (٢/ ٥٩٢).

للكتاب والسنة، وإجماع الأمة، كما أن تقديم الرأي على الشرع إفساد وهلكة، قال ابن قيم الجوزية «وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم إنما ينشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه»(١).

ويبين الإمام الشاطبي رحمه الله محدودية العقل بقوله: «إن الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبلاً إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان، وما يكون ومالا يكون إذ لو كان كيف كان يكون؟ فمعلومات الله تعالى لا تتناهى، ومعلومات العبد متناهية، والمتناهي لا يساوي مالا يتناهى»(٢).

ومما يُعَرِّجُ بالإبداع إلى التدمير والخسران المبين عدم وجود المرجعية الشرعية للجهد البشري، أو تجاهل تلك المرجعية، والسير خارج محيط دائرتها، مما يجعل المبدع ينحى بفكره واختراعه وابتكاره منحى تنزلق به الأقدام، وتكثر فيه الويلات، ولا أدل على ذلك من الاختراعات المعاصرة التي عمل أصحابها في بعد عن المرجعية الشرعية، فخرجوا بمخترعات كانت دماراً وهلاكاً على البشرية، كالقنبلة البيولوجية والذرية والنووية، التي لا تفرق في تدميرها بين الظالم والمظلوم، وكذلك مجال الهندسة الوراثية، وغير ذلك من الابتكارات المنكرة.

في حين نجد أن المنهج الإسلامي يحث المرء على أن يعمل جهده، وفق الدلالات والتوجيهات الشرعية التي تربي في المسلم بذل

(١) ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين (١/ ٦٨).
(٢) الشاطبي، الاعتصام (٢/ ٣١٨).

الجهد لفعل الخير، ودفع الشر، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾(٢). وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(٣).

فهذه الآيات وأمثالها تربي في المسلم استشعار مسؤولية الأعمال والأقوال، مما يُنَشِّئ فيه الاستهداء والاستنارة بالشرع الحنيف، والسير في هديه، خشية المسؤولية التي يُحاسب عليها ممن لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

فهكذا تحدد التربية الإسلامية الإطار الإبداعي، بحيث تجعله يسير في مسار صحيح، بعيداً عن التخبط في متاهات طرق أهل الضلال والبدع.

وأما الإبداع في المجالات الأخرى فهو أمر مطلوب، بل متحتم على المؤسسات التربوية أن توليه جُلَّ اهتمامها، من جانبين:

١ ـ الجانب النوعي:

والمقصود بالجانب النوعي: التوسع في قاعدة العلوم المعرفية في الطب والهندسة والحاسبات والصيدلة والفيزياء، ونحو ذلك، بما يحقق للأمة قوى بشرية مبدعة في تخصصاتها، وفق نظرة شمولية، ذات تطلعات مستقبلية، وبما لا يجعلها تركز على ما تحتاجه اليوم غافلة عن حاجاتها ليوم غدها.

فالدراسات المسحية تشير إلى أن مدخلات التعليم منصبة على

(١) سورة الزلزلة: آية رقم (٧ ـ ٨).
(٢) سورة المزمل: آية رقم (٢٠).
(٣) سورة المدثر: آية رقم (٣٨).

الدراسات النظرية، دون التخصصات الأخرى، فقد بلغت نسبة التخصصات النظرية عام ١٩٨٥م (٧٥٪) في حين أنها بلغت (٢٥٪) فقط في التخصصات الأخرى[١].كما أظهرت الإحصائيات لسنوات مختارة (١٤٠٠، ١٤٠٥، ١٤١٠، ١٤١٥هـ) أن متوسط نسبة خريجي التعليم العالي من الدراسات النظرية بلغت (٧٩،٩٪)[٢]. أي أن (٢٠،١٪) في التخصصات المعملية التجريبية.

فهذه الحدود الكمية قد تجعل عجزاً يواجه الأمة حالياً ومستقبلاً، وتقلل من نسبة الإبداع المعرفي في الجوانب الأخرى، لأن مقتضى التجربة والحكمة يؤكد أنه ليس كل من التحق بتخصص سيبدع فيه، كما أن قلة الملتحقين سيؤدي إلى قلة المبدعين، لذلك لا بد أن تعي المؤسسات التربوية الحدود الكمية وأثرها على النسبة النوعية للإبداع في كل تخصص أو فن.

٢ ـ الجانب الخُلُقي:

يعتبر الجانب الخُلُقي أس وركيزة لا غنى عنهما في الجانب الإبداعي، حتى يأخذ بأيدي المتفوقين فيما يتفتق عن أذهانهم وخبراتهم نحو الخير والبناء والإصلاح، لأن واقع الإبداع يشير إلى أن المتفوقين الذين فقدوا الجانب الأخلاقي، كانوا دماراً على المجتمعات بما أنتجوا من ابتكارات، فمخترع القنبلة الذرية رجل مبدع لا شك في ذلك، ولكن فقدان الجانب الأخلاقي جعله يسخر

(١) علي عبد الرزاق إبراهيم، التعليم الجامعي وظاهرة الباطلة بين خريجي الجامعات، المجلة العربية للتعليم العالي، العدد الأول: شعبان ١٤١٦هـ ـ المنظمة العربية والثقافة والعلوم، ص (٥٣).

(٢) علي بن سعد الهزاع القرني، التعليم في المملكة العربية السعودية، انجازات وتحديات، مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الأمانة العامة للاحتفال، الرياض ٧ ـ ١١ شوال ١٤٢٠هـ، ص (٣٢ ـ ٣٣).

ذهنه في ابتكار ما يدمر به البشرية. وما نتج عن الهندسة الوراثية من التوصل إلى ما يسمى بالاستنساخ البشري إلا نتيجة جنوح إبداعي غير أخلاقي.

ويشير إلى هذه المخاطر أحد المتخصصين في الدراسات الكيميائية: بأن طلب الحقيقة غير المرتبط بالالتزامات الشرعية يمكن أن يؤدي إلى هلاك البشرية، فهناك ميادين متزايدة في العلوم توضح صحة هذا الكلام، وميدان هندسة الوراثة واحد من هذه الميادين، فالقدرة على معالجة الجنس البشري بحيث يكون نسله ذرية من العمال أو الجنود العباقرة له عواقب مخيفة، والقدرة على استخدام الطاقة الذرية للتخريب اتضحت معالمها في (هيروشيما، ونجازاكي) التي أبادت الآلاف من الأبرياء، وكذلك الأبحاث في ميادين غازات الأعصاب والميكروبات المميتة قد تطورت الآن إلى مبيدات للبشرية، وقد استخدم الكثير منها في (فيتنام).

ويظهر الآن ميدان من ميادين الكيمياء الانفعالية التي قد تؤدي في النهاية إلى السيطرة على الإرادة البشرية، بواسطة مركبات كيميائية مختلفة. والعلماء الذين يطورون مثل هذه يلعبون دوراً حاسماً في تسخير إبداعهم نحو تدمير البشرية[١].

والشعر نوع من الإبداع الأدبي لأنه ابتكار صياغات لفظية تحمل صوراً بلاغية مؤثرة، فإذا جاءت من مبدع لا أخلاقي أثار بكلماته وصوره الخيالية ومحسناته البديعية المستمع أو القارئ إلى ما تدعو إليه القصيدة من انحراف عقدي، أو فكري، أو جنسي، أو غير ذلك.

---

(١) عطاء الرحمن، التربية العلمية في الدول الإسلامية، سلسلة التعليم الإسلامي، العلوم الطبيعية والاجتماعية، ص (٢٤٠).

لذا فإنه يتعين تحصين الإبداع في حدود ما ينفع البشرية، وفي ظل الضوابط الشرعية، وهذا ما يحتم على الجهات التعليمية إيلاء هذا الجانب غاية اهتمامها التربوي، وإلا أنتجت من لا يقيم وزناً لمعايير الإبداع وحدوده.

والتربية الإسلامية هي التي تكفل لأتباعها أن يسخروا إبداعهم وفق الضوابط الخُلُقية الشرعية، لأنها أولت ذلك عناية كبيرة، بما يربي في المسلم النظر إلى أبعاد إنتاجه الإبداعي، في سلبياته وإيجابياته، لأنه محاسب ومجزي على ذلك، فإن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1]. وفي أدوات التعلم والمسؤولية عنها قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2]. وقال ﷺ في ثمرة عمل الإنسان (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أُجورهم شئ. ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ)[3].

قال الإمام النووي: وفيه الحث على الابتداء بالخيرات، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات[4].

(١) سورة الزلزلة: آية رقم (٨٧).
(٢) سورة الإسراء: آية رقم (٣٦).
(٣) مسلم (٢/ ٧٠٥) برقم (٦٩ ـ ١٠١٧).
(٤) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (٧/ ١٠٤).

معوقات الإبداع

المقصود بمعوقات الإبداع، تلك العقبات التي تمنع الإنسان وتثبطه عن تطوير وتحسين مجال تخصصه والتفوق فيه.

والمعوقات الإبداعية كثيرة جدا، ولكن من أبرزها ما يلي:

١ - قلة العلم أو عدم صحته:

يعتبر قلة العلم، أو عدم صحته العائق الأكبر الذي يعيق الإنسان عن الإبداع والتفوق والتطوير، لأن قلة العلم تدلل على علو الجهل البسيط؛ الذي هو: «انتفاء إدراك الشيء»[١]. وعدم الإدراك للمعلومة يشكل العائق الأعمق أثراً للإبداع والتطوير، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وشتان ما بين العالم والجاهل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢].

وأما إدراك المعلومة على غير وجهها الصحيح؛ فهو شر من الجهل البسيط، لأن صاحبه لديه جهل مركب، وهو: «اعتقاد جازم غير مطابق للواقع»[٣]. فصاحب هذا النوع ينتفي منه الإبداع، لأنه أدرك المعلومة على غير حقيقتها، فكيف يولد منها حقيقة علمية ؟

(١) الفتوحي، شرح الكوكب المنير، ص (٢٣).
(٢) سورة الزمر: آية رقم (٩).
(٣) الجرجاني، التعريفات، ص (٨٠).

ولذلك فإن « التعلم من أهم وسائل نمو الخصائص العقلية، وبلوغ النضج العقلي، وصقل وتزكية القدرات، والملكات والمواهب والميول والهوايات، وبدونه يظل عقل الإنسان قاصراً، معطلاً، غير قادر على العطاء والإنتاج»[١] والناس متباينون في نفس عقلهم الأشياء من بين كامل وناقص، وفيما يعقلونه من بين قليل وكثير، وجليل ودقيق، وغير ذلك[٢].

٢ ـ الاعتماد على الآخرين:

ويكون هذا الاعتماد في الإنتاج، وإيجاد الحلول، وفي التنظيم، والتخطيط وإعداد البرامج، سواء كان في مجال التربية والتعليم أو في مجال الإدارة، أو في البحث العلمي، أو في الصناعة، أو التجارة، أو في أي مجال آخر من المجالات.

والمنهج الإسلامي يربي في أتباعه أن يوطنوا لأنفسهم، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤا فلا تظلموا)[٣].

وهذا يتطلب من المرء المسلم أن يكون ذا بصيرة، غير مقلد للناس في الجهل والسلوك الذي لا يحقق نفعا.

وليس معنى هذا أن ينأى الفرد بنفسه عن الآخرين، ولكن لا يكن فرداً اتكالياً على غيره، ينتظر منهم تقديم الحلول والإنتاج دون

(١) عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص (٤٥١).

(٢) ابن تيمية، الفتاوى (٩/ ٣٠٩).

(٣) الترمذي (٤/ ٣٢٠) برقم (٢٠٠٧)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير وزياداته، ص (٩٠٥).

إسهام منه، بل يجب أن يكون عضواً فاعلاً إيجابياً، يجتهد ويعمل، ويفكر ويسترشد بمن هم أكثر منه علماً وتجربة.

فالاتكالية العمياء تولد العجز الذهني والبدني، فيتبعه الخمول الذي يقتل العمل والتطلع والتفكير، فتتوقف عوامل الإبداع.

٣ ـ الاكتفاء بالمتاح مع إمكانية إيجاد الأفضل:

مما يعيق عملية الإبداع الاكتفاء بالأشياء المتاحة فقط، دون البحث والتنقيب عن الأفضل، إذا كانت الفرصة متوفرة لإيجاد البديل الأحسن.

مثال ذلك أن يكتفي طالب العلم بقول معين في مسألة من المسائل، دون أن يكلف نفسه عناء البحث عن الدليل وصحته، وخلوه من المعارض، والقول الأرجح في المسألة.

وقد يكتفي الباحث بما توصل إليه الآخرون في مجال الطب أو الصيدلة مثلاً، فلا يكلف نفسه البحث عن الأحسن، وتطوير المتاح. ولو توقف الناس على ما ألفوه مما يسوغ البحث فيه، لما وصل العالم إلى ما وصل إليه من تقدم في كثير من المجالات. والمسلم أولى بالسبق والقيادة والريادة، لأن أمته أمة رائدة.

٤ ـ عدم الإتقان:

مما يعوق الإبداع أن يكتفي الإنسان بالحد الأدنى من المستوى الإنتاجي دون الوصول إلى أعلى درجات الإتقان والإبداع التي يستطيع أن يصل إليها، في حين أن الإسلام حث الإنسان على إتقان العمل، فقد قال ﷺ (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)[١].

(١) البيهقي، شعب الإيمان (٦/ ١٢٣٤).

والتربية الإسلامية تدعو إلى الأفضل والأحسن في كل ما فيه نفع الفرد أو المجتمع، فالإنسان مأجور ـ بإذن الله تعالى ـ على جهده المعرفي في سائر العلوم النافعة، يقول الشيخ بن سعدي رحمه الله تعالى: «فعلوم الكون التي تسمى العلوم العصرية، وأعمالها، وأنواع المخترعات النافعة للناس في أمور دينهم ودنياهم، داخلة في ما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ، ومما يحبه الله ورسوله»[(١)].

فالجهد العلمي في البحث عن الأفضل في الأمور التي تحتاجها الأمة، وينتفع بها الناس، يثاب صاحبها على ذلك إذا أخلص النية لله تعالى.

فالتربية الإسلامية تشجع على بذل الجهد المعرفي المبدع المفيد البناء، وفي عدم الأخذ به وأد للإبداع وإيقاف له.

٥ ـ الانشغال بملذات الدنيا:

إن الانشغال بملذات الدنيا ومطالب الجسد، وشهوات النفس؛ يكون موبقاً بين الإنسان والإبداع، ويغلق آفاق المبدعين ويوصدها، ويجعلها محجورة بين أقواس الشهوات، لا يفكر في الإنتاج المثمر فضلاً عن الإبداع في ذلك ؛ لأن انشغال النفس بالملذات يجعلها كلما أصابت لذة، تاقت لما بعدها، فينتهي العمر، ولم يحز المرء على كل رغباته الدنيوية، إضافة إلى أن الترف يقود إلى حب الاسترخاء والتمادي فيه، والبعد عن الجدية في البحث والمطالعة والمدارسة، قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «إياكم والتنعم، وزي العجم، وتمعددوا، واخشوشنوا»[(٢)].

---

(١) عبد الرحمن بن السعدي، القواعد والأصول الجامعة، ص (٩).

(٢) علي بن الجعد، المسند (١/ ٥١٧) برقم (١٠٣٠)، وحلية طالب العلم، لأبي بكر أبو زيد، ص (١٤).

لذلك ينبغي البعد عن ترف الحضارة، فإنه يؤنث الطباع، ويرخي الأعصاب، ويقيدك بخيط الأوهام، فيصل المجدون لغايتهم، والمشغول بزيفها لم يبرح مكانه[1].

وليس المقصود هجر الطيبات، ولكن الاسترسال في الملذات، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾[2].

وخيار الناس من فقه هذا الأمر: فهماً وعملاً، وتعليماً بلسان الحال قبل المقال.

٦ ـ عدم التشجيع:

للتشجيع دور كبير وفاعل في إبراز أصحاب المواهب، كما أن في عدم التشجيع تثبيط للهمم، خاصة إذا صاحب ذلك التهوين من قدر الإنسان «والإسلام شجع الأفراد للاستفادة من إمكاناتهم وقدراتهم العملية في بناء الحضارة وعمارة الأرض على أساس من التعاون على البر والتقوى، ونبذ الحسد والتباغض»[3] الذي قد يكون أحد أسباب عدم التشجيع.

وقد يرجع أسباب عدم التشجيع إلى يأس المعلم والأسرة من أن يلحقوا بركاب التقدم التقني أو الزراعي أو التجاري أو الصحي أو التعليمي أو غير ذلك من الجوانب التي تأخرت فيها الأمة، وقد يكون سبب عدم التشجيع الجهل بأهميته في كشف المواهب.

والدراسات التربوية تثبت أهمية التشجيع في صقل المواهب،

(١) بكر أبو زيد، حلية العلم، ص (١٤).
(٢) سورة القصص: آية رقم (٧٧).
(٣) عباس محجوب، أصول الفكر التربوي في الإسلام، ص (٢٠٨).

وخطورة قهر الأفراد على اختيارات لا يرضونها «لأن الإنسان لا يركز انتباهه أو يعمل فكره، ويضاعف جهده إلا فيما يميل إليه، ويشعر بانجذاب شديد إلى ممارسته»[١].

ومنهج التربية الإسلامية يقوم على التشجيع للخير، والتحذير من الشر والباطل، وآيات الترغيب والترهيب كثيرة في القرآن الكريم، وفي نصوص السنة النبوية، التي ترغب في الخير وتحذر من الشر والفساد وإضاعة الأوقات فيما لا فائدة فيه، قال ﷺ (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)[٢].

ولما أن الإنسان مفطور على حب الخير لنفسه، وكره الشر والشقاء، فإنه يندفع في استجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية؛ بشكل قوي، حيث أن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء[٣].

وقد كان عليه الصلاة والسلام يشجع أصحابه على الخير والاستزادة منه بكلمات الإشادة التي تشحذ الهمم، وتحمس على الخير، فقد سأل رسول الله ﷺ سؤالاً ثم أجاب عليه صحابي جليل، فيقول عليه الصلاة والسلام مشجعاً له: (ليهنك العلم أبا المنذر) فعن أُبي أن النبي ﷺ سأله (أيُّ آية في كتاب الله أعظم ؟ قال: الله ورسوله أعلم، فردَّدها مِرارا، ثم قال أُبيٌّ: آية الكرسي، قال: لِيَهْنَكَ العلمُ أبا المنذر)[٤]

---

(١) عبد الحميد صيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص (٥٣٧).

(٢) الترمذي (٤/ ٥٢٩) برقم (٢٤١٧).

(٣) خالد الحازمي، المشكلات التربوية الأسرية وأساليبها العلاجية، ص (٥٩).

(٤) أحمد، (٣٥/ ٢٠٠) برقم (٢١٢٧٨).

وفي هذا الحديث العظيم من الفوائد التربوية: طرحه ﷺ السؤال العلمي على أصحابه ليزدادوا علماً وفهماً، ثم تشجيعه ﷺ لأصحابه، بالكلمة الطيبة المشجعة التي تشحذ الهمة نحو المزيد من الخير في العلم والفهم والتأمل قبل الإجابة. وفيه تأدب الصحابي الجليل مع نبي الرحمة والهدى؛ إذ لم يبادر بالإجابة فوراً تقديراً وإجلالاً لعلم رسول الله ﷺ وخشية أن يقول شيئاً على غير مراد رسول الله ﷺ فقال: الله ورسوله أعلم. ومن الفوائد التربوية: ترديد الرسول عليه الصلاة وأفضل التسليم السؤال، ليؤكد رغبته في الإجابة، حتى يؤكد الصحيح، ويصحح الخطأ. ثم يقول ﷺ جملة تشجيعية في غاية الروعة والجمال: (لِيَهْنَكَ العلمُ أبا المنذر)، فلو أنها خرجت من أحد المعلمين لكانت جميلة، فكيف وقد خرجت من لسان نبي الهدى والرحمة ﷺ.

وفي صحيح البخاري (مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون، فقال النبي ﷺ ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا)[1].

وكم في هذا الحديث من فوائد يجهل تطبيقها كثير من المدرسين، فالتشجيع أولها، ونوعية عبارة التشجيع ثانيها، وربط جملة التشجيع بنوع الفعل والممارسة ثالثها، وتذكيرهم بأمجاد أسلافهم رابعها. ولو ازددنا تأملاً فيها لازددنا علماً وفقهاً تربوياً.

٧ ـ عدم رعاية الموهوبين:

التشجيع هو الجمع بين رفع المعنويات وحث الأفراد على بذل أقصى جهد فيما يقومون به من أنشطة، ولا يقتصر ذلك على شخص دون آخر. وأما رعاية الموهوبين، فهي بذل عناية خاصة لمن تميزوا بين زملائهم، وتهيئة الجو العلمي الذي يساعدهم على تنمية طاقاتهم الإبداعية في مجال تخصصاتهم.

---

(١) البخاري (٢/ ٣٣٢) برقم (٢٨٩٩).

وأما تجاهل الموهوبين وعدم رعايتهم فإنه يؤدي إلى وأد طاقاتهم، وربما أدى إلى نزوحهم إلى المجتمعات التي ترعى مواهبهم، وهو ما يسمى بهجرة العقول البشرية، فقد قرر أحد البحوث أن عدد الأطباء في العاصمة الأمريكية من إحدى الجنسيات العربية يفوق عدد زملائهم في ذلك القطر العربي. وفي المجالات العلمية النادرة هناك ٩٥٠ عالماً من أحد المجتمعات العربية يعز الحصول عليهم لدولة واحدة على مدى عشر سنوات، يعيشون في الخارج[١].

فعدم التشجيع والعناية بأصحاب المواهب قد يؤدي إلى هجرة المبدعين عن الأوطان الإسلامية.

ومنهج التربية الإسلامية يؤكد أهمية إسدال الخير إلى الناس والعناية بشئونهم، فكيف إذا كان إسدال الخير إلى فئة يتوخى منها الخير للأمة، والإسهام في رفع مكانتها وشأنها ؟.

فلا شك أن ذلك أدعى إلى مد الخير إليهم، فقد قال ﷺ (أحب الناس إلى الله أنفعهم)[٢]. وقال ﷺ (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل)[٣].

ورعاية الموهوبين تكون بالتشجيع والمكافأة، وبالرعاية الخاصة، وتوفير سبل التعلم المتقدمة، وتوفير المعامل، والكتب والأدوات العلمية، والمدرسين الأكفاء، وكفايتهم مؤنة المعيشة، وما يحتاجونه من أمور الحياة، إضافة إلى التوجيه التربوي البناء، والعناية بالبناء الخُلُقي والديني، فهو الذي يضبط سلوكهم ويوجه نبوغهم إلى الخير والصلاح.

(١) زكي محمد إسماعيل، الإبداع والبناء الثقافي والاجتماعي، ص (٣٩).
(٢) صحيح الجامع الصغير، الألباني (١/ ٩٧)، برقم (١٧٦ ـ ٦٩).
(٣) مسلم (٤/ ١٧٢٦) برقم (٦١ ـ ٢١٩٩).

فوائد التربية الإبداعية

للتربية الإبداعية أهمية كبيرة في مسيرة التفوق العلمي والصناعي والصحي والاقتصادي، وفي غير ذلك من المجالات. وتظهر صور فوائدها في أشكال متعددة، من أبرزها ما يلي:

١ ـ الابتكار:

يعتبر الابتكار من أبرز ثمار التربية الإبداعية، لما فيه من الاختراع غير المسبوق، الذي يتولد عنه التقدم في المجال الذي كان الابتكار في دائرته، سواء كان في: الطب أو الصيدلة، أو في الهندسة، أو في الأنظمة، أو في أي مجال نافع آخر.

والابتكار لا يأتي في أغلب الأحوال وأظهرها إلا من أولئك الذين تلقوا تربية نموذجية متفوقة، أو أُتيحت لهم الفرصة للتعلم والتفكير، ولا سيما إذا كان ذلك في إطار توجيه تربوي متألق فاعل.

لذلك فإن الدراسات النفسية تقرر أن الأطفال أفضل ما يتعلمون عندما يُعْطَون الفرصة للتعلم بطرائق تتناسب مع قابليتهم وحوافزهم، وبالتالي فإنه حين يغير المعلمون من طرقهم في التعليم إلى طرق ذات معنى تتوافق مع قابلية الطلاب، فإنما يحققون فيهم التربية الإبداعية المتألقة[١].

(١) فاخر عاقل، الإبداع، وتربيته، ص (١٥٢).

فيتحقق للأمة الفئة المبدعة المبتكرة في جميع الفنون، بما يخدم جميع المجالات التي تحقق لها قدراً من القوة والرفعة والسبق التربوي.

٢ - التطوير:

التطوير هو: إدخال التحسين على الأشياء، بما يحقق فيها الانتفاع الأمثل.

وهذا التطوير من سمات التربية الإبداعية التي تحقق في أفرادها الميل إلى التطوير والتحسين والبحث عن ذلك مع عدم الوقوف عند المألوف والمعتاد، سيما في المجالات التي يخضع التقدم فيها لتطوير أدواتها، وإجراءاتها، وليس ذلك التطور محصوراً في الآليات الصناعية والكيميائية والفيزيائية والهندسية كما هو اعتقاد كثير من الناس، بل إن مجالات التطور أرحب من ذلك، فهي في الإدارة، وفي اللوائح والأنظمة، وفي طرق وأساليب البحث العلمي، وأدواته، ومنهجيته، وغير ذلك.

والنزعة التطويرية هي من ثمار التربية، إذا أحسنت المؤسسات التربوية استخدام الأساليب التدريسية والمعرفية التي تحقق ذلك.

٣ - ترتيب الأولويات:

يعد ترتيب الأولويات حسب أهميتها، وحسب قوة تأثيرها، وحسب الحاجة إليها من الدلائل والإشارات الإبداعية عند الفرد، أو عند المجموعة، فالشخص الذي يُحسن ترتيب مفردات أقواله عند التحدث حسب تدرجها المنطقي، أو المؤثر، يعتبر شخصية مبدعة في عرض الآراء.

فالتربية الإبداعية هي التي تُكَوِّنُ من الأفراد شخصيات تُحسن ترتيب الأشياء أو القضايا حسب الأولويات، حتى ينتج عن ذلك قوة التأثير وحسن الاستثمار للمتاح، وتوفير الوقت والجهد والتكلفة.

لأن المرء يلمح الكثير من الناس في شؤون الإدارة، أو حتى في المذاكرة والدراسة من يرتب قضاياه المتعلقة بذلك ترتيباً لا يشعر فيه بحسن تحديد الأوائل والأواخر والأواسط، وهذا نتيجة التربية التي لم تولد عند المتربي الاهتمام بالتصنيف التصاعدي حسب الأهمية، وحسب الارتباط، مما قد يولد عند الفرد التشتت الذهني، وعدم الاكتراث بحسن التدبير.

ولذلك فإن من جملة التعامل مع الحقائق ترتيب الأولويات في القضايا التي تحتاج إلى معالجة، وهذا الترتيب لا ينبع إلا من إدراك عميق لطبيعة القضايا والظرف العام الذي تجري فيه المعالجة[١] ففي مجال الدعوة التي تحتاج إلى فقه ترتيب الأولويات إذا فقدها الشخص، قد لا ينجح في التأثير على المدعوين.

ومنهج التربية الإسلامية مبني على ترتيب الأولويات، كما قالت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في نزول القرآن الكريم (... إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شئ لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً...)[٢].

وقد سُئل ﷺ: (أي الإسلام أفضل ؟ قال: من سلم المسلمون

(١) عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، ص (٩٩).
(٢) البخاري (٣/ ٣٤٠) برقم (٤٩٩٣).

من لسانه ويده)[١]. وسأله رجل (أي الإسلام خير ؟ قال: أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)[٢]. فتأمل الترتيب حسب حاجة الأشخاص.

فترتيب الأولويات باب واسع، وللتربية أثر فاعل في تحقيقه لدى المتربي، من خلال الأساليب التعليمية المتنوعة التي إذا أُحسن استخدامها أثمرت النتائج المرجوة.

٤ ـ حسن الاختيار:

اختيار الفاضل على المفضول في زمن أو مكان تكتنفه عوامل من الغموض أو التشابه، أو مغبة أمر غير ظاهرة؛ دليل حذق الفرد ونباهته وعلو إبداعه الاختياري للأشياء.

وهذا الأمر يمكن أن ينطبق على الكثير من معاملاتنا وتعاملنا مع الأحداث، وفي قراراتنا المتتالية، فكم من الطلاب يتخرجون من المرحلة الثانوية، ويقتدون ببعضهم في الالتحاق بالدراسات الجامعية، ثم يكتشف كثير منهم بعد مضي سنتان أو أكثر أنه أساء الاختيار لمجارات الأتباع والخلان. وهنا يأتي عمق التربية المدرسية في توليد وتحقيق الإبداع في حسن الاختيار، الذي يحفظ وقت وجهد الإنسان من الضياع والتبديد.

ومنهج التربية الإسلامية يحث أتباعه على حسن الاختيار، وتَحَمُّل تَبِعَات إساءة الاختيار، قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣]. وقال

(١) المرجع السابق (١/ ٢١) برقم (١١).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢١) برقم (١٢).

(٣) التكوير: آية رقم (٢٨ ـ ٢٩).

تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(١).

ويقول ﷺ في الحث على اختيار الخير للنفس (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)(٢). ويقول ﷺ في جانب اختيار الزوجة، بعد بيان مجالات الاختيار (تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)(٣).

٥ ـ تحقيق المنهج العلمي:

تحقق التربية الإبداعية في المنهج الإسلامي البعد عن الأهواء، مع الاعتماد على الأدلة وتقريرها، مما يبعد المرء المسلم عن الانجراف وراء التيارات، وبريق المزيفات؛ من الأعمال والأقوال والمنتجات، فيحفظ ذلك عليه وقته وماله وجهده، ومن جانب آخر يربي فيه المنهجية العلمية.

والنصوص الشرعية التي تأمر باتباع البراهين والأدلة كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾(٤). وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾(٥). وقال تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٦).

وقد جاء لنبي الله سليمان عليه السلام الهدهد يخبره بأخبار بلقيس، ملكة سبأ، ولكن نبي الله سليمان عليه السلام لم يقتنع حتى

(١) سورة الشمس: آية رقم (٩ ـ ١٠).
(٢) مسلم (٤/٢٠٥٢) برقم (٣٤ ـ ٢٦٦٤).
(٣) البخاري (٤/٣٦٠)، برقم (٥٠٩)، ومسلم (٢/١٠٨٦)، برقم (٥٦ ـ ١٤٦٦) واللفظ له.
(٤) سورة النساء: آية رقم (١٧٤).
(٥) سورة المؤمنون: آية رقم (١١٧).
(٦) سورة البقرة: آية رقم (١١١).

يتأكد من ذلك ببرهان مبين، فقال: كما جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[١].

فالتأكد والاعتماد على الدليل والبرهان الصادق من منهج التربية الإسلامية، ولذلك ظهر المنهج الاستدلالي عند المسلمين، الذي يسار فيه من مبدأ إلى قضايا تنتج عنه بالضرورة دون الصيرورة إلى تجربة[٢].

كما اعتمد المسلمون منهج القياس؛ بمد سلطان النص بعد إدراك علة الحكم المستفادة منه، ليشمل بحكمه كل ما توفرت فيه علة النص الأصلي؛ وظروف تطبيقه[٣] كما ظهر عندهم المنهج التجريبي، ومنهج علم الرجال، للتثبت من نقولاتهم ورواياتهم، مما جعل المسلمين منفردين بدراسة الرجال، فأبدعوا ابتكاراً وتطبيقاً وتقعيداً بشروط وضعوها للرواة، فظهر عندهم علم مصطلح الحديث، «وهو علم وضع لحفظ الحديث النبوي من الخلط والدس والافتراء عليه، وهو منقسم إلى رواية ودراية، وكل منهما ينقسم إلى عشرات الأقسام»[٤].

٦ ـ البعد عن التقليد غير البصير:

التقليد على ضربين: تقليد اتباع واقتداء على بصيرة وهدى، من معرفة التابع للمتبوع، ومعرفة منهجه ودليله، فيسلك سلوكه، ويتبع منهجه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٥].

---

(١) سورة النمل: آية رقم (٢٧).
(٢) عبد الكريم، بكار، فصول في التفكير الموضوعي، ص (١٠٨).
(٣) المرجع السابق، ص (١١٣).
(٤) محمد ضياء الرحمن الأعظمي، معجم مصطلحات الحديث الأسانيد، ص (٤٢٤).
(٥) سورة يوسف: آية رقم (١٠٨).

وتقليد على ضلال وجهل، دون معرفة التابع للمتبوع، من حيث صحة علمه ومنهجه، فهذا التقليد مرفوض باطل؛ لأنه لا يأتي إلا بالشر، قال عليه الصلاة والسلام: (لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤا فلا تظلموا)[1].

ومنهج التربية الإسلامية يربي أتباعه على البعد عن التقليد الأعمى الذي يئد الإبداع، ويزج بالإنسان في مهاوي الجهل والضلال، بل يربي فيهم الوعي في مسلكهم وسلوكهم وأقوالهم وأفعالهم وعباداتهم، وفي كل شؤونهم.

فإذا وعت المؤسسات التربوية هذه الخاصية وربت المتربين على ذلك غرست فيهم هذه الجوانب التي تعتبر ثمرة وفائدة إبداعية تربوية.

ومن خلال بيان تلك الفقرات يتضح عناية الإسلام بمنهجية الإبداع التربوي، الذي يحقق تلك الفوائد التي تنعكس على نتاج الأعمال الإبداعية، فتحقق فيها فوائد عظيمة تعود بالنفع المبين على الفرد والمجتمع، بل والبشرية أجمع. وهذا ما تفقده وتفتقر إليه التربيات الأخرى.



(١) الترمذي (٤/ ٣٢٠) برقم (٢٠٠٧).

المبحث الثاني

العقل في منظور التربية الإسلامية

يعتبر العقل في الإنسان المحور الذي من خلاله تلج المناهج التربوية والأساليب التربوية إليه، لتفتق أذهان التلاميذ نحو الإبداع المعرفي، وبقدر معرفة الجهات التربوية للعقل وأهميته توليه اهتمامها وعنايتها، ولذلك جاء هذا المبحث ليلقي الضوء على هذا الجانب في النقاط التالية:

مفهوم العقل:

العقل: هو «القوة المتهيئة لقبول العلم»[١] وأصل العقل الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال[٢] وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك[٣].

والعقل من حيث الاستفادة منه نوعان:

١ ـ عقل إدراك:

وهو العقل الذي عند كل أحد ما لم يكن مسلوباً بجنون، أو قاصراً لصغر السن، وهو الذي يميز به الناس بين الأشياء في الكثرة

(١) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص (٣١٤).
(٢) المرجع السابق، ص (٣٤٢).
(٣) ابن منظور، لسان العرب (١١/٤٥٨ ـ ٤٥٩).

والقلة والأعداد، والأحجام، ونحو ذلك. وهذا عند المسلم والكافر وليس له علاقة بالديانة.

٢ ـ عقل رشد:

وهو الذي يعلم به صاحبه فيعمل، وهو العقل الصحيح الذي يقبل الحق إذا علمه ،ويبعد عن الشر إذا عرفه، فالذي يعلم الحق ولا يعمل به ليس لديه عقل رشد، وإنما لديه عقل إدراك، حيث أدرك به العلم، ولم يسترشد بذلك ويرشد، قال ابن تيمية[(١)]: فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به، والعمل بالعلم، ولهذا قال أهل النار ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[(٢)]. وأيضا قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[(٣)]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[(٤)].

فهؤلاء الكفار لديهم عقل إدراك الذي هو مناط التكليف، ولكنهم فقدوا عقل الرشد بسبب عدم اتباعهم الحق بعد أن تبين لهم.

مكان العقل:

وأما مكان العقل من البدن، فهل هو متعلق بالدماغ، أم متعلق

(١) ابن تيمية، الفتاوى (٩/ ٢٨٦).
(٢) سورة الملك: آية رقم (١٠).
(٣) سورة الحج: آية رقم (٤٦).
(٤) سورة الأعراف: آية رقم (١٧٩).

بالقلب؟ فإننا نجد أن الدلائل القرآنية والأحاديث النبوية تدل على أن مكانه القلب، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾(١) فجعل عقل الشيء وتدبره في القلب، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٢). قال المفسرون: أي عقل، وعبر عنه بالقلب لأنه محل استقراره(٣). وقال ﷺ (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)(٤).

وخُص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وسائر الأعضاء حجبة له، توصل إليه من الأخبار ما لم يكن يأخذه بنفسه، فالعين والأُذن وحاسة الشم، وحاسة اللمس، توصل إليه ما لا يدركه إلا بها، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه(٥).

وقال الخطيب البغدادي: «وأما العقل فهو ضرب من العلوم الضرورية، محله القلب»(٦). وقال الشيخ ابن تيمية: إنه غريزة، والحكمة فطنة، وقيل إنه ضرب من العلوم الضرورية، وكلاهما صحيح، فإن العقل في القلب مثل البصر في العين(٧) وقيل لابن عباس - رضي الله عنهما - بماذا نلت العلم ؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول(٨).

---

(١) سورة الحج: آية رقم (٤٦).
(٢) سورة ق: آية رقم (٣٧).
(٣) ابن حجر، فتح الباري (١/ ١٢٩).
(٤) البخاري (١/ ٣٤) برقم (٥٢).
(٥) ابن حجر، فتح الباري (١/ ١٢٨).
(٦) الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه (٢/ ٢٠).
(٧) ابن تيمية، الاستقامة (٢/ ١٦١ - ١٦٢).
(٨) ابن تيمية، الفتاوى (٩/ ٣٠٣).

فدل ذلك على أهمية القلب وعلى أنه هو الذي يعقل به الإنسان، وهذا إذا ما أُريد بالقلب المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن، وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً، فإن قلب الشيء باطنه، كقلب الحنطة واللوزة، فإذا أُريد بالقلب هذا، فالعقل متعلق بدماغه ايضاً، ولهذا قيل: إن العقل في الدماغ، كما يقوله كثير من الأطباء، ونقل ذلك عن الإمام أحمد، ويقول طائفة من أصحابه: إن أصل العقل في القلب، فإذا كمل انتهى إلي الدماغ[١].

والعقل يُراد به العلم والعمل كما مر معنا، وأصلهما من الإرادة، والإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد، فلا بد أن يكون القلب متصوراً، ويكون منه هذا وهذا، ويبتدئ ذلك من الدماغ، وآثاره صاعدة للدماغ، وكلا القولين له وجهة صحيحة[٢].

ومن ذلك يمكن القول بأن هناك ارتباط بين الدماغ والقلب في إدراك الأشياء وعقلها، فالدماغ يُدرك الأشياء بالحواس، أو بالتفكير فيها، ثم يعقلها القلب فيرفضها أو يقبلها، فترجع للدماغ مرة أخرى محملة بالقرار من القلب، ويرسل الإشارة اللازمة بسلوك معين، أو بقرار معين، بحسب ما جاء من القلب، ولذلك فإن الإنسان إذا فكر كثيراً فإنه يشعر بالألم أو التعب في دماغه الواقع في الرأس، وإذا ضرب على رأسه اختل تفكيره وإدراكه، فإذاً هناك ارتباط قوي بين القلب والدماغ، وأن مكان العقل هو القلب، والدماغ وسيط. والله تعالى اعلم.

---

(١) ابن تيمية، الفتاوى (٩/٣٠٣).

(٢) المرجع السابق (٩/٣٠٤)، وانظر الفتوحي، الكوكب المنير، ص (٢٣ ـ ٢٥).

العقل الفطري والمكتسب:

أساس العقل أنه فطري مطبوع في الإنسان، وهو العقل الذي يعقل ويدرك به، ويعقل به العلم، وبالعلم والدربة يحصل العقل المكتسب، فالعقل الغريزي وسيلة لحصول العقل المكتسب، ولا يمكن أن يكتسب الإنسان عقلاً وهو فاقد العقل الغريزي، قال عبد الله ابن المعتز: «العقل كشجرة، أصلها غريزة، وفرعها تجربة، وثمرتها حمد العاقبة، والاختيار يدل على العقل، كما يدل توريق الشجرة على حسنها، وما أبين وجوه الخير والشر في مرآة العقل إن لم يصدها الهوى»[(١)].

أفرأيت الرجل الذي لا يتقن حرفة معينة، فإنه لا يستطيع أن يبدع فيها ويفكر في أحسن الطرق لأدائها، ولكن بعد أن يتعلمها ويتمرسها، قد يبدع فيها، فما حصل له من خبرة ومن كشف أحسن الطرق لأدائها هو ما يسمى بالعقل المكتسب، أي هو نتيجة تنمية القوى العقلية الغريزية.

فالعقل عقلان: عقل غريزية وهو أب العلم ومربيه وثمرته، وعقل مكتسب مستفاد، وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته، فإذا اجتمعا في العبد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، حيث يستقيم له أمره، وأقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب، وإذا فقد أحدهما فالحيوان البهيم أحسن حالاً منه، حيث إذا انفرد انتقص الرجل بنقصان أحدهما.

وأما آفة فقدهما، أن صاحب العقل الغريزي الذي لا علم ولا تجربة عنده آفته التي يؤتى منها الإحجام، وترك انتهاز الفرصة، لأن

(١) الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه (٢/ ٢١).

عقله يعقله عن انتهاز الفرصة لعدم علمه بها.

وأما صاحب العقل المكتسب فيؤتى من الإقدام بما ليس عند سابقه، فإن علمه بالفرص وطرقها، يدفعه على المبادرة إليها، وعقله الغريزي لا يطيق رده عنها، فإذا رُزق العقل الغريزي عقلا إيمانيا مستفادا من مشكاة النبوة لا عقلاً معيشياً نفاقياً، فإن صاحبه يكون على نقيض أهل العقول المعيشية النفاقية الذين يرون العقل أن يُرضوا الناس على طبقاتهم ويستجلبوا مودتهم على حساب الدين[(١)].

علاقة الإبداع بالعقل:

إن العلاقة بين الإبداع والعقل مترابطة جداً، فالعقل هو الجهاز الذي يفكر به الإنسان، والتفكير هو محور الإبداع، لذلك فإن العلاقة بينهما قوية، كما أن مجالات الإبداع تتنوع بحسب القدرات العقلية المتعددة مثل: «القدرة على الإدراك، والقدرة على التذكر، والقدرة على التخيل، والقدرة على الاستنباط والاستنتاج، والقدرة على التحليل، والقدرة على التركيب، والقدرة على الاستقراء، والقدرة اللغوية، والقدرة العددية أو الحسابية، والقدرة العملية، ونحوها»[(٢)].

ولذلك نلاحظ أن البعض لديه القدرة على الحفظ، لكنه ضعيف مثلا في جانب التحليل، والبعض لديه مهارة وقدرة في الجوانب الحسابية، لكنه ضعيف في جانب آخر، والبعض قد وفقه الله تعالى بأن جمع له قدرات متعددة.

ولما أن العقل غريزي ومكتسب، فإن محور عمل التربية يتركز على تنمية العقل المكتسب، من خلال المناهج الدراسية، وأساليب

(١) انظر ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة (١/ ١١٧).

(٢) عبد الحميد الصيد الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص (٤١٩).

طرق التدريس التي تحرك عقل المتعلم نحو التفكير الجيد البناء، وأن لا يكون أداة للاستماع فقط، فإذا نجحت التربية في هذا استطاعت أن تسهم في تنمية الجوانب الإبداعية لدى المتعلمين.

أهمية العقل:

إن العقل نعمة عظيمة من الله تعالى، وله أهمية كبيرة في حياة الإنسان وذلك لاعتبارات عديدة يمكن تلخيصها فيما يلي: ـ

١ ـ أن العقل مناط التكليف في الإسلام كما جاء في الحديث قول علي لعمر رضي الله عنهما (أما علمت أن القلم رفع عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ)[(١)]. فكونه مناط التكليف يدل على أهميته إذ يترتب على وجوده المسئولية والمساءلة من الله تعالى.

٢ ـ أن العقل أحد الضروريات الخمس التي حافظ عليها الشرع، «فإنه أشرف ما في الإنسان، ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة، صيانة لعقولها»[(٢)].

٣ ـ أنه وسيلة الإدراك والتعلم والتفكير، حيث أن «القلب للعلم كالإناء للماء، والوعاء للعسل، والوادي للسيل»[(٣)] وقال ابن مسعود رضي الله عنه «هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف، وينكر به المنكر»[(٤)]. فمن ضعف نقده ووهن تمييزه، وقل تفكيره، استسهل الهوى والسهل لسهولته؛ وإن كان في ذلك هلكته، واستثقل ثِقَل

(١) البخاري (٤/٢٥٣)، كتاب: الحدود (٨٦)، باب لا يرجم المجنون (٢٢).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢/٥٩٦).

(٣) ابن تيمية، الفتاوى (٩/٣٠٤).

(٤) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللفهان (١/٢٧).

الانضباط على نفسه وإن كان فيه فوزه ونجاته في حياته ومعاده.

٤ ـ أن سلوك الإنسان وتصرفاته نتيجة أفكاره، وتصوراته وإدراكه، لأن أصل الخير والشر من قبل التفكير، فإن التفكير مبدأ الإرادة والطلب في الزهد، والترك والحب والبغض، وأنفع الفكر، الفكر في مصالح المعاد، وفي طرق اجتلابها وفي دفع مفاسد المعاد، وفي طرق اجتنابها[١].

وخير وسيلة لتصحيح الفكر والتصورات التزود بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتدبرهما.

٥ ـ أن العقل أحد أسس الإبداع، فمن ضعف عقله ووهن تفكيره، قل إدراكه وضاقت تصوراته، فَقَلَّ إبداعه، ومن نمّا فكره وقوي إدراكه، اتسعت تصوراته فَكَثُرَ إبداعه، وزاد ونما.

٦ ـ أن العقل يُفرق به بين الإنسان والحيوان، حيث أن الحيوان لا يعقل ولا يدرك، وقد شبه الله تعالى من لا يفقه ويتبصر، ويستخدم حواسه وعقله في إدراك الحق كالأنعام، بل أضل من ذلك، لأن الأنعام معذورة لعدم توفر العقل الذي هو وسيلة الإدراك، ولم تكلف، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٢].

النظرة البشرية للعقل:

لقد تشعب الناس إلى طوائف من حيث نظرتهم لمكانة العقل وأهميته، وبناء على ذلك جاءت تصرفاتهم واهتماماتهم بحسب نوعية

(١) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٩٣).
(٢) سورة الأعراف: آية رقم (١٧٩).

وجودة الغذاء المعرفي، وترتب على ذلك أن ظهرت تربيات متنوعة بحسب تباين المفاهيم، ويمكن بيان تلك الأقسام على النحو التالي:

١ ـ نوع من الناس ألّه العقل التابع لهواه، وجعله هو المرجع الرئيس والحاكم على الأشياء، والقائد والمشرع، والموجه والمنظم لحياة الإنسان، وعطله عن معرفة الحق وإدراكه، فهؤلاء يعيشون لشهواتهم، وهؤلاء هم أهل الكفر بجميع أصنافه، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[(١)]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[(٢)].

قال ابن كثير: يذكر تعالى أنه أخذ العهود والمواثيق على بني إسرائيل على السمع والطاعة لله ولرسله، فنقضوا تلك العهود والمواثيق واتبعوا آراءهم وأهواءهم، وقدموه على الشرائع، فما وافقهم منها قبلوه، وما خالفهم ردوه[(٣)].

وهذا النوع من الناس هم الذين ألّهوا العقل، وجعلوه حاكماً على قضاياهم وأعمالهم ونتاجهم.

وهؤلاء ورثوا هذا المنهج الضال عن إبليس لعنه الله، فهو أول من عارض أوامر الله تعالى بالعقل وقدمه عليه، فإن الله تعالى عندما أمره بالسجود لآدم، عارض أمر ربه بقياس عقلي مركب من مقدمتين[(٤)].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا

---

(١) سورة الفرقان: آية رقم (٤٣).

(٢) سورة المائدة: آية رقم (٧٠).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢/ ٨٣).

(٤) ابن قيم الجوزية، الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة (٢/ ٦٦٠ ـ ٦٦١)

مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾(١). وهاتان المقدمتان هما:

أحدهما قوله: (أنا خير منه) وتقدير ذلك أنا الفاضل فكيف اسجد للمفضول.

والثانية: معلومة من أساس التفاضل التي اعتمد عليها، على حد زعمه، وهي المادة التي خُلِق منها، فمن خلق من نار فهو أفضل، فكيف يسجد لمن خُلُق من طين.

فهما قياسان متداخلان، وأيضاً باطلان، من عدة وجوه، كما وضح ذلك ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى(٢):

أ ـ أنه قياس في مقابلة النص، والقياس إذا صادم النص وقابله كان قياساً باطلا.

ب ـ أنه قال (أنا خير منه) وهذا كذب، ومستنده في ذلك باطل، إذ لا يلزم من تفضيل مادة على مادة، تفضيل المخلوق منها على المخلوق من الأخرى.

ج ـ أن التراب أفضل من النار لعدة اعتبارات، منها:

ـ أن طبع النار الطيش والخفة، والأرض الثقل والرزانة.

ـ أن طبع النار العلو والإفساد، وطبع الأرض الخشوع والإخبات، والله لا يحب المفسدين، ويحب المخبتين.

ـ أن الأرض مادة الحيوان والنبات والأقوات، والنار بخلافه، فهي حارقة لذلك.

ـ أن الأرض تعطيك من البركة أضعاف ما تودعه من الحب

(١) سورة الأعراف: آية رقم (١١ ـ ١٢).

(٢) ابن قيم الجوزية، الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة (٢/ ٦٦٠ ـ ٦٦٨).

والنوى، والنار تحرقه .والمعتزلة، والمدارس العقلانية تقدم العقل على النقل، فضلت وأضلت.

٢ ـ وصِنْف عطل العقل، فلا يتدبرون ولا يتفكرون، وإنما حياتهم حياة بهيمية، لا يتدبرون آيات الله المبثوثة في الكون وفي أنفسهم ولا يتفكرون في مآلهم ونهاية حياتهم قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[٢].

٣ ـ وأمة من الناس قدمت الشرع على العقل، وأصبح الشرع بمثابة ضوء الشمس للعين، وتحقق عندهم لصحة عقولهم وصفاء منهجهم عدم تعارض العقل السليم والنقل الصحيح[٣]. وهؤلاء هم أهل الحق، وهم أهل السنة والجماعة، عرفوا قدر الشرع وأهميته، وحاجة الناس إليه فاتبعوه، وعرفوا أهمية العقل فلم يعطلوه[٤].

وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه[٥].



(١) سورة الحج: آية رقم (٤٦).
(٢) سورة الأعراف: آية رقم (١٧٩).
(٣) انظر: كتاب درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية.
(٤) انظر كتاب: أعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية (١/ ٥٣ ـ ٨٥) وذلك لمعرفة موقف السلف من الرأي.
(٥) المرجع السابق (١/ ٦٧).

المبحث الثالث

وسائل التربية الإبداعية والعقلية

يواجه الإنساني مفسدات مادية وثقافية فكرية تفتك بعقله وتحرفه عن صوابه، بما يؤكد حاجته لما يحفظ عقله من الزيغ والضلال، وينميه، حتى ينتج ويبدع، وهذا يتطلب بيان ما يأتي:

١ ـ وسائل حفظ العقل.

٢ ـ وسائل تربية العقل.

٣ ـ المفسدات العقلية.

أولاً: وسائل حفظ العقل:

إن هناك حاجة ماسة لحفظ العقل البشري من وسائل الهلاك والدمار التي تواجهه من خلال وسائل مختلفة، وفي جوانب متعددة، تهوي به في الاتكالية على جهود الآخرين، أو تعطله عن مهامه بإشغاله فيما يضره ولا ينفعه، كوسائل الله والمكثفة، والمخدرات المتنوعة، والبث المباشر الذي تسلل للبيوت، فانشغل الإنسان بالباطل عن الحق، وبالضار عن النافع، وبالمفضول عن الفاضل، مما يجعل المهام الملقاة على كاهل التربية ضخمة المسؤولية، من خلال المسجد والمدرسة والمنزل، والهيئات التربوية الأخرى.

وإزاء هذه التحديات التي في صراع مع منابع التربية يتأكد أهمية الوقوف على وسائل حفظ هذا العقل ليؤدي مهامه المطلوبة منه، فضلاً عن الإبداع المأمول، ويمكن إيضاح ذلك في النقاط التالية.

١ ـ الأخذ بكل ما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية، دون قيد أوشرط، والإيمان بهما والعمل بمقتضاهما، دون الرجوع إلى أي منهج آخر للاحتكام إليه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[١] .وهذا أمر قطعي لابد من الإيمان والعمل به، ويقتضي هذا عدم تقديم العقل على الشرع، لأن العقل محدود، ناقص، وقد أثبت الله تعالى كمال الشرع وحاكميته عليه، ولا يصح تقديم الناقص حاكماً على الكامل، لأنه خلاف المعقول والمنقول، بل ضد القضية، وهو الموافق للأدلة، فلا معدل عنه[٢].

وكان الصحابة ﷺ إذا رأوا رأياً ووجدوا أن سنة النبي ﷺ خلاف ذلك عدلوا عن رأيهم ورجعوا للسنة[٣].

والتربية القائمة على هذا المبدأ تغرس في أفرادها الانقياد للشريعة الإسلامية، والإذعان لتوجيهاتها، مما ينمي في الفرد جوانب إبداعية من أبرزها:

ـ الدقة في التعامل مع نتائج الحضارات وفق النصوص الشرعية.

ـ صحة الفهم لمقاصد الشريعة التي تجعل المبدع يسخر إنتاجه لخدمة البشرية وصلاحها، لا لدمارها وإفسادها.

ـ سلامة المعلومات وصحتها من عدم تعارضها مع ما قررته الشريعة.

(١) سورة الحشر: آية رقم (٧).

(٢) الشاطبي، الموافقات (٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧).

(٣) انظر: الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه (١/ ١٣٨).

ـ بذل الوسع في التحقق من صحة الاستنباطات والاستنتاجات.

ـ صدق التحليل والتفسير للظواهر والوقائع والحوادث الكونية والتاريخية في منأى عن الهوى والنزعات الشخصية.

٢ ـ أن لا يكون العمل إلا بدليل شرعي فيما يخص الأعمال العقدية والتعبدية، والمعاملات، ولا يكون توجه الإنسان واجتهاده في حياته وأعماله العامة والخاصة إلا وفق المنهج الإسلامي.

وهذا يجسد عند المسلم أهمية البحث العلمي وفق قواعده المعتبرة، مما ينعكس على إنتاجه الذي يرقى به إلى الدقة.

٣ ـ محاربة البدع والشبه، عن محيط المجتمع الإسلامي، وتوعية الأمة بالعلم الصحيح، حتى لا ترتكس في بؤرة الجهل الذي يحجبها عن العمل الصحيح. فما انحطاط كثير من المجتمعات الإسلامية إلا لكثرة البدع والشبه، وتفشي الجهل الذي حط بظلامه وركابه بينهم.

٤ ـ محاربة المسكرات والمخدرات بجميع أنواعها، واختلاف مسمياتها؛ لأنها حجاب فولاذي عن العمل والتفوق.

٥ ـ أن يعرف الإنسان محدودية عقله، وأن لعقله حدوداً لا يستطيع أن يتجاوزها، قال الشاطبي رحمه الله «إن الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبلاً إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان، وما يكون وما لا يكون إذ لو كان كيف كان يكون؟ فمعلومات الله تعالى لا تتناهى، ومعلومات العبد متناهية، والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى»(١).

(١) الشاطبي، الاعتصام (٢/٣١٨).

وهذه الحقيقة قاعدة تربوية عظيمة الأثر، إذ تؤكد أن الإنسان وإن كان مبدعاً في جانب؛ فلا يعني تفوقه في كل الجوانب، وإذا كان قاصراً في جانب؛ فقد يكون مبدعاً في جانب آخر، لو بحث عنه لتفوق فيه، وهذا ما يجهله كثير من الناس، حيث يُرَاد من الكل أن يتفوقوا في جانب معين، أو جوانب محددة، فمن أخفق فيها حُكِم عليه بالغباء.

٦ ـ احتضان وتنمية المواهب والقدرات العلمية في جميع المجالات سواء ما يتعلق بأمور التقنية الحديثة، أو التخصصات التجريبية، في الطب والهندسة، أو سواها من التخصصات التي تحتاج إليها الأمة الإسلامية. لأن عدم احتضانها وتنميتها وتوجيهها قد يؤول بها إلى الانحراف، نتيجة غياب التوجيه، وما انحراف كثير من الدراسات عن جادة الطريق إلا لسوء توجيه الدارسين.

ثانياً: وسائل التربية الإبداعية والعقلية:

إذا تم الحفاظ على العقل، فثمة أمر آخر، وهو القيام بتنميته ليكون مثمراً مبدعاً، وهذه الوسائل قد تشتمل على ما يساعد على حفظه أيضاً، وذلك لصعوبة الفصل بينها فصلاً دقيقاً، ويمكن عرض ذلك فيما يلي:

١ ـ تدبر آيات الله القرآنية:

إن تدبر آيات الله القرآنية عبادة وفقه وتنمية للعقل على الخير، كما أن في ذلك حفظ لعقل الإنسان من طرق الهلاك والضلال، وقد أمر الله تعالى بتدبر القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾(١).

(١) سورة محمد: آية رقم (٢٤).

فإن المعرضون عن كتاب الله تعالى، لو تدبروا القرآن الكريم لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية[١] ومن يمتلئ قلبه بالإيمان والإيقان ويعرف طريق الخير، وطريق الشر، يتوجه للخير، وفعل الخير على أحسن وجه.

وفي تدبر آيات الله القرآنية تفتيح للعقول، وهداية وتوفيق وعون لها نحو التفوق. والمرء بأمس الحاجة إلى توفيق الله وعونه ليحقق مبتغاه في علمه ومهنته وإدارته، وفي جميع شؤونه.

٢ ـ تدبر آيات الله الكونية:

إن الإنسان يستطيع أن يشاهد ويلاحظ ما تستطيع حواسه أن تدركه من آيات الله الكونية المبثوثة في الكون، كالجبال والسهول والأودية والأشجار والنجوم، وغيرها من آيات الله الكونية، وهي آيات عظيمة تدل على عظمة الخالق تبارك وتعالى، فتربي الإنسان على صحة التوجه وسعة النظر، وكل ما تأمل المؤمن في مخلوقات الله تعالى ازداد إيمانه واتسعت آفاقه وتفكيره، وقد بين تبارك وتعالى أن آياته تدل على الحق، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[٢].

فليتأمل الإنسان مثلاً: الحكمة البديعة في تيسيره سبحانه وتعالى على عباده ما هم أحوج إليه، فكل ما كانوا أحوج إليه كان وجوده أكثر وأوسع، وكلما استغنوا عنه كان أقل، وإذا توسطت الحاجة توسط وجودها، فاعتبر هذا بالأصول الأربعة: التراب والماء والهواء

---

(١) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/ ٣٤).

(٢) سورة فصلت: آية رقم (٥٣).

والنار، وتأمل سعة ما خُلِقَ منها وكثرته، فتأمل سعة الهواء وعمومه ووجوده بكل مكان، ولولا كثرته وسعته وامتداده في أقطار العالم لاختنق العالم من الدخان والبخار المتصاعد، وتأمل حكمة ربك في أن سخر لها الرياح، فإذا تصاعد أحاله سحاباً أو ضباباً، فذهب عن العالم شره، فسل الجاحد من الذي دبر هذا التدبير ؟ وهل يقدر العالم لو اجتمعوا أن يحيلوا ذلك سحاباً ويذهبوه عن الناس ؟ ولو شاء الله تعالى لحبس الرياح فاختنق من على وجه الأرض[(١)].

فهذا التدبر إذا وسعته المناهج الدراسية أحدثت عند المتربي بُعْد النظر، وسعة الأفق، وحُسن الاستنتاج والاستنباط، وسلامة التحليل والتفسير، وربط الأسباب بالمسببات، وبخالق الأسباب ومدبر الأحوال.

٣ ـ تدبر العواقب:

مما يساعد الإنسان على نمو الجانب التفكيري وحسن الإبداع تعقل الأمور وتدبر عواقب ما يريد أن يقدم عليه، فينظر ما هي عواقبه ونتائجه عليه في دار معاده ومعاشه، وهل هي لذة وقتية يتبعها ألم دائم وحسرة قد لا تنقطع، أو ضد ذلك ؟.

فمثلاً: من طبيعة «الفضائل أنها مستحسنة مستثقلة، والرذائل مستقبحة ومستخفة»[(٢)] فمن ضعف تفكيره ووهن تميزه وقل نقده استسهل السهل لسهولته وإن كان فيه هلكته، واستثقل الثقيل لثقله على نفسه وإن كان فيه فوزه ونجاته.

كما أن في تدبر العواقب تدريب للذهن على القياس، وربط

---

(١) ابن القيم الجوزية، مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣).

(٢) ابن حزم، الأخلاق والسير، ص (٨٠).

نتائج الصور المتشابهة؛ واستنتاج القواعد من الحوادث المتماثلة، وفي هذا تدريب للعقل على التفكير والإبداع.

٤ ـ حسن النقد والتميز:

إن من أهداف التربية تهذيب الإرادة، وتنمية التفكير ليميز الغث من السمين، والحسن من القبيح، واختيار الفضائل وتجنب الرذائل حتى لا يكون عبد شهوته من جهة، وإمعة من جهة أخرى، ويغتر بكل قول، ويجذبه كل ناعق، وقد روي عن النبي ﷺ ما يدل على أهمية توطين الإنسان لنفسه، قال ﷺ (لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا)[(١)].

وتصرفات الإنسان هي وليدة أفكاره «وأصل الخير والشر من قبل التفكير، فإن الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد، والترك والحب والبغض، وأنفع الفكر الفكر في مصالح المعاد، وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد المعاد، وفي طرق اجتنابها»[(٢)].

لذلك على المربين أن يشجعوا الأبناء على ممارسة التقويم الذاتي بأنفسهم، حتى تكون لديهم قدرة الاعتماد على النفس واختيار الأفضل والأحسن في ضوء المنهج الإسلامي.

وهذا يربي فيهم سلامة التفكير، وحُسن المنطق، والقدرة على الاستفادة من الأوقات.

٥ ـ تدبر الماضي التاريخي:

إن التاريخ حصيلة تجارب الأمم، وعبرة يعتبر بها الإنسان،

(١) الترمذي (٤/ ٣٢٠) برقم (٢٠٠٧)، وقال: حديث حسن غريب، وقال الألباني: حديث ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، برقم (٦٢٧١ ـ ١١٣) ص (٩٠٥).

(٢) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٩٣).

ويستفيد منها، وقد نبه القرآن الكريم إلى أهمية استشراف التاريخ، والتعرف على السنن الطبيعية والاجتماعية، والإفادة من ذلك في الاعتبار، وبناء الحضارة، والمحافظة عليها من السقوط.

ولكن كشف هذه السنن المطردة لا يمكن أن يتم إلا بالاستقراء التاريخي، ودراسة أحوال الأمم الماضية، والوقوف على عوامل تقدمها، وأسباب سقوطها[١].

والآيات القرآنية التي تحث على الاعتبار كثيرة[٢] ومن ذلك حثه سبحانه وتعالى على الاعتبار من عاقبة الأمم التي كذبت الرسل، وكانوا أصحاب أموال وقوة وعمران، فلما بغوا جاءهم العذاب فلم تنفعهم قوتهم، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[٣].

وأما أسلوب عرض الوقائع والأحداث التاريخية دون استجلاء العبر والسنن الإلهية في التمكين والنصر وفي الهزيمة، لا يزيد شيئاً في الجانب التفكيري، وفي تقوية الجانب الإيماني، وفي الاعتبار والاستفادة، ولذلك فإن الدراسات التاريخية تحتاج إلى هذا النوع البنائي من استجلاء العبر، وربط السنن الكونية بالسنن الشرعية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

إضافة إلى إبراز مظاهر الحضارة الإسلامية وعمقها، وما أنتجته

---

(١) أكرم ضياء العمري، الإسلام والوعي الحضاري، ص (١٠٢ ـ ١٠٣).

(٢) انظر: على سبيل المثال سورة (يوسف آية ١٠٩، والحج آية ٤٦، والروم آية ٩، فاطر آية ٤٤، وغافر آية ٢٤، ٨٢). وانظر كتاب: الإسلام والوعي الحضاري، للدكتور أكرم العمري، ص (١٠٢ ـ ١١٨)، وكتاب رؤية لأحوال العلم المعاصر، لمحمد قطب، ص (٥٣ ـ ٦٥).

(٣) سورة فاطر: آية رقم (٤٤).

وأسهمت به في تقدم الأمم، لأن في ذلك باعث للهمم نحو التطلع لتحقيق المجد التليد، والإقتداء بِسِيَرِ الأولين في الجد والاجتهاد.

٦ ـ أن تكون التفسيرات للأحداث في ضوء الشرع:

إن تفسير الحوادث الكونية والتاريخية والاجتماعية في معزل عن الشرع يُحدث تصدعاً في البنية المعرفية عند الإنسان، ويتبعها نظرة معملية لذلك، فيفقد بها المتربي المعرفة الشرعية، وربط الأسباب بمسبباتها، وربط ذلك كله بإرادة الله وحكمته وكمال تدبيره سبحانه وتعالى، فينعكس ذلك على الجانب الاعتقادي.

وبالتالي يحجم تفكيره عن الإبداع وسبر غور الأحداث، خاصة في المجال التاريخي والاجتماعي.

ومثال ذلك «السنن الاجتماعية التي أوضحها الله تعالى في القرآن الكريم، أن فشو الظلم وغياب العدل من الأسباب الموجبة لهلاك الأمم، وسقوط الحضارات»(١). قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾(٢).

فإذا دُرست سقوط الأمم من خلال العثرات الاقتصادية التي وقعت فيها، وأودت بهلاكها، أو بالهزائم العسكرية وحدها؛ دون النظر إلى الأسباب الشرعية التي كانت أساساً للأسباب المادية كانت تلك الدراسة التاريخية مادية، لا تبني في صاحبها ولا في القارئ بُعد النظر الذي هو شعلة الإبداع المعرفي.

٧ ـ عدم الاتكالية:

إن الاتكال على الآخرين في كل شيء، والاعتماد عليهم في

---

(١) أكرم ضياء العمري، الإسلام والوعي الحضاري، ص (١٠٤).

(٢) سورة الأنبياء آية رقم (١١).

التنظيم والتخطيط وإيجاد الحلول والبدائل، يجعل عقل الإنسان عقيماً، بعيداً عن التفكير البناء، ويعيق نشاط الذهن الذي يثمر الإبداع الجيد الصحيح.

وعدم الاتكالية إحدى خطوات البحث العلمي الواعي، وهذا الأمر ليس مطلقاً، لأن الآخرين إما نقطة نبدأ منها للبناء، أو للهدم أو نستعين بها، ولكن الخطأ في الاتكال الكلي دون أن يبذل الإنسان ما في وسعه. ولذلك أُشْتُرِط للعمل الإبداعي أن يتحقق فيه أحد الشروط التالية:

- أن يكون النتاج الفكري جديداً، وذا قيمة.
- أن يتضمن تطويراً للأفكار السابقة، أو تغييراً إذا كانت خاطئة.
- أن يكون النتاج الفكري عميقاً، أو فيه إثارة شديدة.
- أن تكون صياغة المشكلة مزيلة للغموض[(١)].

وهذه الشروط تؤكد أهمية الابتكار في الإبداع.

٨ ـ تعلم العلم:

إن العلم لقاح العقول، ينميها ويربيها وينير فيها روح الإبداع والبحث العلمي الواعي الرشيد، وأنفع العلوم في لقاح العقول وأكملها علم الشريعة، ثم العلوم التي يحتاجها الإنسان في بناء أمته ومجتمعه، كالاقتصاد والعلوم الزراعية والصناعية والتجارية والإدارية والطبية، وغيرها من العلوم النافعة، فكلما ازداد الإنسان معرفة في مهنته ازداد إبداعاً وتألقاً في ميدان تخصصه، إذا واكب ذلك رغبة وتطلعاً للأحسن والأكمل.

---

(١) فاخر عاقل، الإبداع وتربيته، ص (٥٩)، ومقداد يالجن التربية الإسلامية الأساسية، ص (٤٨٨).

ومن الأمور المعينة على الإبداع في مجال العلم والتعلم ما يلي:

أ ـ الاستقراء:

وهي الطريقة التي ينقل بها المعلم ذهن المتعلم من المعلوم إلى المجهول، ومن المحسوس إلى المعنوي، ومن الملموس إلى غير الملموس، وذلك بتدرجهم في الانتقال من الجزء إلى الكل، حتى يستطيع المتعلم أن يصل من الحقائق الجزئية إلى التعميم، أي بتمكين المتعلم من خلال استقرائه للحقائق الجزئية إلى استنباط المبدأ العام، أو القاعدة الكلية[١].

ب ـ الطريقة الكلية:

وهي عكس الطريقة السابقة، حيث ينتقل بذهن المتلقي من القاعدة إلى جزئياتها الأصلية، ومن الكل إلى الجزء، مثل دراسة تعريف معين عن طريق تفتيت مركباته وعناصره الأصلية.

وفي هذه الطريقة يعرض المعلم على المتعلم الحادثة التاريخية على نحو كلي شمولي، ثم يوضحها ويفسر أجزاءها، وتفصيلاتها بالدليل والبرهان، أو بتحليل الحوادث، أو بضرب الأمثلة[٢].

ج ـ القياس:

هو تسوية فرع بأصل في الحكم[٣] لوجود علة جامعة بينها «وهو أحد الأدلة التي تثبت بها الأحكام الشرعية»[٤] في الفقه الإسلامي.

(١) الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص (٤٦٨).
(٢) المرجع السابق، ص (٤٧٠).
(٣) انظر شرح الكوكب المنير، تقي الدين الفتوحي، ص (٤٧٩ ـ ٥١٥).
(٤) ابن عثيمين، الأصول في علم الأصول، ص (٦٠).

والقياس لا ينحصر في الأدلة والأحكام الشرعية بل في كثير من فنون العلم والمهارات. وسواء كان في مجال الفقه أو في مجال الأمور العامة، فإنه وسيلة للإبداع، وحاجة يحتاج إليها الإنسان، فإن تربية المتعلمين على هذا الجانب، يقوي لديهم ربط وقياس الأمور المتشابهة ببعضها البعض، إذا وجدت العلة الجامعة بين الفرع والأصل، أو بين المقيس والمقاس عليه.

د ـ الحفظ:

ومن الأمور الجديرة بالاهتمام عملية الحفظ والاستذكار، حيث تجعل العلم في متناول الحافظ، يسير معه أين ما حل وارتحل، بعكس الذي يعتمد على الكتب فقط، فإنه يصبح أسيراً لها، لا يفكر إلا بوجودها.

والحقيقة إن هذا لا يعني التقليل من أهمية الكتاب، وإنما القصد أن يتمكن الإنسان بمحفوظه، وأن يتحرر من قيود ارتباطه بالكتاب في كثير من المواقف الطارئة، والمواقف التي لا يتوفر فيها الكتاب.

وفي الحفظ تدريب للذاكرة وتقوية لملكة الحفظ مع سرعة الاسترجاع، وهذا في حد ذاته إبداعاً، يُعين المرء على التحليل والاستنتاج والقياس، والاستقراء دون ارتباط مباشر بالكتاب. قال أبو هلال العسكري «وإذا كان ما جمعته من العلم قليلاً وكان حفظاً كثرت المنفعة به، وإذا كان كثيراً غير محفوظ قلت منفعته»[(١)].

وأما من زعم من الناس أن الحفظ ليس له قيمة ولا أثر على الإبداع، وأنه يجعل من الإنسان كتاباً ناطقاً، فإنها دعوة باطلة غير

(١) أبو هلال العسكري، الحث على طلب العلم، ص (٧٤).

صحيحة، ودليل ذلك أن السلف كانوا يهتمون بالحفظ اهتماماً بليغاً حتى برز منهم مبرزون في الحفظ، فكان لهم قدم علم وفقه، مثل: الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وسعيد بن المسيب وسليمان ابن داود الطيالسي وأبو داود وسفيان الثوري وغيرهم(١).

وقد بين السلف أهمية الحفظ في كسب العلم، حيث تطالع ذلك في مصنفاتهم مثل كتاب الحث على الحفظ لابن الجوزي.

كما أنه لا بد وأن يلازم الحفظ الفهم السليم الذي يولد الوعي وحُسن الإدراك عند المتلقي، ويرتقي بدرجة حفظه إلى ما يقود للإبداع المعرفي.

٩ ـ الحوار والمناقشة:

إن للأسلوب الحواري في تصحيح المعلومات الخاطئة، والتصورات الباطلة أثر كبير في تقبل صحيح المعلومات والتصورات، وإزالة الملابسات، والمتعلقات الذهنية الخاطئة، لأن فيه قرع الحجة بالحجة، وتفتيح الذهن، وفك ما غلق واستصعب من الفهم والإدراك.

وقد اشتمل القرآن الكريم على آيات كثيرات مبنية على الحوار، وكذا سنة المصطفى ﷺ(٢).

وأما أسلوب فرض المعلومات والآراء والأفكار على الآخرين فقد يقبلونها ولكن على غير رضى واقتناع، إما رهبة من عاقبة رد ذلك أو هيبة لذي السن والجاه، ولكن هذا الأسلوب يقتل الإبداع، ويميت حسن التفكير. ولذلك يلزم العناية بالجانب الحواري في التدريس، والتعليم،

---

(١) انظر ما أشار إليه ابن الجوزي عن حفظ هؤلاء، في كتابه الحث على حفظ العلم، ص (٢٥ ـ ٦٧).

(٢) انظر عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية، ص (١٨٥ ـ ٢٠٩)، ففيه أمثلة كثيرة متنوعة.

وفي طرح الآراء، وعدم فرضها على الآخرين دون مناقشة وإقناع حتى نصل بمن نخاطبهم ونعلمهم إلى ما نريد من الخير والصلاح.

١٠ ـ ضرب الأمثال:

إن ضرب الأمثال وتعقلها يثير الجانب الذهني عند الإنسان بتوسعة أفقه، لأن في ضرب الأمثال تقريب المعنى للأذهان وتدريب على حُسن القياس، وقد اشتمل القرآن الكريم والسنة النبوية على الكثير من الأمثال التي جاءت مؤثرة لقوة بيانها ووضوحها وترابط الممثل به والممثل عليه، ومثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[(١)].

ومثال ذلك من السنة النبوية قوله ﷺ (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة)[(٢)].

فضرب الأمثال يوسع أفق المتعلم ويوصله إلى مراد المعلم بأيسر السبل وأسهلها، ويولد لديه القناعة لوجود العلاقة الواضحة بين المُشَبّه والمُشَبّه به.

فتلك بعض الوسائل التربوية التي تساعد على حفظ العقل من الزيغ والضلال، وتعمل على تربيته وزيادة مقدرته في الفهم وحسن

---

(١) سورة الحج: آية رقم (٧٣).

(٢) البخاري (٣/٤٦٣)، برقم (٥٥٣٤)، ومسلم (٤/٢٠٢٦)، برقم (١٤٦ ـ ٢٦٢).

الإنتاج والإبداع، وهذا الأمر لا تكفي فيه الجهود الفردية، بل يتطلب الأمر أن تكثف جهود البيئات التربوية: كالمدرسة والأسرة وكافة الجهات التربوية الأخرى لبناء الإنسان المسلم بناء صحيحاً، يحقق أهداف التربية الإسلامية، المتمثل في تحقيق العبودية لله تعالى، وعمارة الكون بما يرضي الله تبارك وتعالى.

ثالثاً: المفسدات العقلية:

إن صاحب العقل السليم يستطيع أن يستفيد من هذه النعمة الكريمة الكبيرة التي تميزه عن سائر الكائنات الحية، لكن بعض الناس اجتالتهم مفسدات العقل، فعطلت عقولهم، وغيرت وجهتهم الحسنة إلى وجهة سيئة، فانعكس ذلك على سلوكهم وتصرفاتهم، ويمكن إيضاح تلك المفسدات المهلكات فيما يلي:

١ ـ مفسدات فكرية:

وهي أن يتصور الإنسان الأمور الغيبية من غير منهج الله تعالى، وأن يتلقى الأوامر والنواهي المتعلقة بتوجيه الجانب العقدي والتعبدي، ونشاطه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والأخلاقي من غير منهج الله تعالى[١].

ومما يفسد العقل فكراً وتصوراً، إثارة الشبه بين الناس، وإشغالهم، وافتتانهم بها، وكذا الترويج للشعوذة والكهانة، والنظريات الباطلة في التربية والسياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق، ونشر اللهو عن طريق وسائل متعددة: كالكتاب والمجلة والصحيفة والمسرح والقصص والسينما والرائي والمذياع، وغير ذلك من الوسائل ذات التأثير الفاعل.

(١) عبد الله أحمد قادري، الإسلام وضروريات الحياة، ص (١١٤).

وهذه المفسدات العقلية تنحو بفكر الإنسان منحى يبعده عن مساره الصحيح الذي يحقق فيه الجدية المعرفية أو المهنية التي هي روح الإبداع.

٢ ـ مفسدات حسية:

وهي تلك المفسدات المادية كالخمور والمخدرات والمسكرات بجميع أنواعها، وقد حرمها الإسلام بنصوص شرعية كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾[١].

وقوله ﷺ (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب، لم يشربها في الآخرة)[٢].

وهذه المفسدات تقوم بتعطيل العقل عن دوره، وحجبه عن مصالحه، وتعتيم الأمور عليه، حتى لا يدرك الخير من الشر، وبالتالي ينحرف بتصرفاته عن مواصفات الرجل العاقل المتزن الذي يقيم الأمور ويعالجها بحكمة وروية.

ومن أهم ما تحجبه عنه معرفة الحق وإدراكه والأخذ به، فتبعده عن طاعة الله تعالى التي خُلِقَ الإنسان من أجل تحقيقها.

كما تبعده عن التفكير في منافعه الدنيوية، والتوجه بجهده العقلي والبدني نحو تنمية قدراته ومواهبه نحو الإبداع والتفوق في المجال الذي يعمل فيه، سواء كان في الإدارة، أو الصناعة، أو الزراعة، أو الهندسة، أو نحو ذلك.

٣ ـ المعاصي والهوى:

ومما يفسد العقل الانغماس في المعاصي، واتباع الهوى،

---

(١) سورة المائدة: آية (٩٠).

(٢) مسلم (٣/ ١٥٨٧)، برقم (٧٣ ـ ٢٠٠٣).

فينشغل بذلك عن معرفة مصالحه في دار معاشه ومعاده. وقد حذر الله تعالى من اتباع من اتبع هواه وذلك لفساده وفساد منهجه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾(١).

والذي يحول بين القلب وبين الحق في غالب الأحوال اشتغال القلب بغير الحق من مفاتن الدنيا، ومطالب الجسد، وشهوات النفس، فهو في هذه الحال كالعين الناظرة إلى وجه الأرض ولا يمكنها مع ذلك أن ترى الهلال.

أو هو يميل إليه فيصده عن اتباع الحق، فيكون كالعين التي فيها غذى لا يمكنها رؤية الأشياء.

ثم الهوى قد يعترض له قبل معرفة الحق فيصده عن النظر فيه، وقد يعرض له الهوى بعد أن عرف الحق فيجحده ويعرض عنه(٢).

وفي الجوانب العامة من مطالب الحياة، قد يَفتن الهوى صاحبه؛ فلا يفكر في مصالحه ليبدع فيها، وإنما ينصب تفكيره في حسد الآخرين، والتطلع إلى ما عندهم، فينشغل بغيره عن ما ينفعه في دار معاشه ومعاده.



(١) سورة الكهف: آية رقم (٢٨).

(٢) ابن تيمية، الفتاوى (٩/ ٣١٤).

الخاتمـة

مما سبق يتضح أهمية الإبداع في التقدم والتطور في كثير من المجالات، وقد اهتمت التربية الإسلامية بالجانب الإبداعي، مع توجيهه التوجيه الصحيح، وتحديد إطاره الذي يسير فيه.

ولما أن هناك علاقة بين الإبداع والجانب العقلي الذي هو مناط التكليف، وهو القوة التي يدرك بها الإنسان الأمور، وهو عامل أساسي في الجانب الإبداعي، فقد اهتمت التربية الإسلامية بهذا الجانب اهتماماً كبيراً، حفظاً وتنمية، وحذرته ومنعته من كل ما يحجبه عن معرفة الحق، أو يعيقه ويعطله عن دوره، بل جعلت حفظه أحد الضروريات الخمس التي لا يستغني عنها الإنسان.

كما أنها حددت للعقل مساره الصحيح، والحدود التي لا ينبغي له أن يتجاوزها، وجعلت الشرع نبراسه ونوره، وهو يسير خلفه وفي ضوئه، ويستنير بتوجيهاته.

وهي بذلك تقدم أصولاً تربوية عميقة الفائدة، لمن يسبر غورها، ففاقت جميع التربيات، وأصبح الإنسان مفتقراً إليها غاية الافتقار، ولا سعادة له في دار الدنيا والآخرة إلا بها.

هذا وأحمد الله تعالى على فضله وتوفيقه وامتنانه، واستغفره من أخطائي وتقصيري، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم.

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم: أسد الغابة(د.م): الشعب، ١٩٧٠م.

- الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة (د.ت)

- أكرم ضياء العمري، الإسلام والوعي الحضاري، ط١، جدة: دار المنارة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، شرح وتحقيق محب الدين الخطيب، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، نشر ومراجعة قصي محب الدين الخطيب، ط١، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٤٠٠هـ.

- بكر بن عبد الله أبو زيد، حلية طالب العلم، ط٢، الرياض: دار الراية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحي، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس، وعمر أنيس الطباع، بيروت: مؤسسة المعارف ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح، تحقيق أحمد محمد شاكر، مكة المكرمة: دار البار (د. ت)

- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، الرياض: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

- ابن تيمية: الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد العاصمي النجدي وساعده ابنه محمد، (د.م)، (د.ت) ١٣٩٨هـ

- ابن تيمية، الإستقامة، تحقيق محمد رشاد سالم، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، (د.ت)

- ابن الجوزي: الحث على حفظ العلم، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، تبويب محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة (د.ت)

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ط٤، الموصل: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (د.ت)

- حلمي المليجي، علم النفس المعاصر، ط٢، بيروت: دار النهظة العربية، ١٩٧٢م.

- الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي: سنن أبي داود، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، ط١، بيروت: دار الحديث، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٦، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جدة: دار المدني، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، القواعد والأصول الجامعة، ط١، (د.م) دار الوطن للنشر، ١٤١٣هـ

- ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

- الشاطبي، أبي اسحاق ابراهيم اللخمي: الموافقات في أصول الأحكام، (د.م) دار الفكر، ١٣٤١هـ.

- الشاطبي، أبي اسحاق ابراهيم اللخمي، الإعتصام، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، (د.ت)

- شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي، الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان، تحقيق خليل الميس، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- عباس محجوب، الفكر التربوي الإسلامي، ط١، عجمان: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

- عبد الحميد الصيد الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م.

- ابن عثيمين، محمد بن صالح: الأصول من علم الأصول، ط٢، الرياض: دار طيبة للنشر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

- عبد الرزاق إبراهيم، التعليم الجامعي وظاهرة البطالة بين خريجي الجامعات، المجلة العربية للتعليم العالي، العدد الأول، شعبان ١٤١٦هـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

- عبد الله أحمد قادري، الإسلام وضروريات الحياة، ط١، جدة: دار المجتمع، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، ط٢، دمشق، بيروت، دار القلم، دار الشامية، ١٤١٩م.

- علي سعيد الهزاع القرني، التعليم العالي في المملكة العربية السعودية، مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الأمانة لعامة للاحتفال، الرياض ٧ - ١١ شوال١٤٢٠هـ.

- عطاء الرحمن، التربية العلمية في الدول الإسلامية، سلسلة التعليم الإسلامي، العلوم الطبيعية والاجتماعية، إعداد إسماعيل راجي الفاروقي،

وعبدالله عمر نصيف، ترجمة عبد الحميد الخريبي، جدة: عكاظ ، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

ـ فاخر عاقل، الإبداع وتربيته، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.

ـ الفتوحي، تقي الدين أبي الفداء محمد شهاب الدين: شرح الكوكب المنير، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة: مطبعة السنة الحمدية، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م.

ـ ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان، تحقيق محمد سعيد كيلاني، بيروت: النور الإسلامية (د.ت)

ـ ابن قيم الجوزية: الفوائد، تحقيق عبد السلام شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

ـ ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت)

ـ ابن قيم الجوزية، الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة، تحقيق أحمد عطية الغامدي، وعلى ناصر فقيهي، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٧هـ.

ـ ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، بيروت: دار الجيل، (د.ت)

ـ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ محمد عطية الأبراشي، روح التربية والتعليم، ط٤، (د.م) دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.

ـ محمد قطب، رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ـ مقداد يالجن: جوانب التربية الإسلامية، بيروت: مؤسسة دار الريحاني، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار الحديث (د.ت)

- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت: دار صادر (د.ت)

- عبدالرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ط١، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

- النووي، محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك محمد بن هشام بن أيوب الحميري: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، بيروت: دار القلم (د.ت).

- أبو هلال العسكري: الحث على طلب العلم، تحقيق مروان قباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- أبو هلال العسكري، الأوائل، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.



فهرس الموضوعات

الموضوع **رقم الصفحة**

للمؤلف

- مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية .
- أصول التربية الإسلامية .
- من أهداف التربية الإسلامية .
- المشكلات التربوية الأسرية وأساليبها العلاجية .
- الهدف التعليمي والثقافي لتقنية المعلومات .
- التربية الإبداعية .
- الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية .
- السبق التربوي .

البريد الالكتروني للمؤلف: KHALID1157@hotmail.com

عنوان المؤلف : ص.ب: (10115) المدينة المنورة



المدينة المنورة ص.ب (١٥٥٦)

هاتف: ٨٣٦٦٦٦٦ فاكس: ٨٣٨٣٢٢٦

المملكة العربية السعودية

موقعنا على الإنترنت : www.daralzaman.com

البريد الإلكتروني : Zaman@daralzaman.com

ردمك : ٩-١-٨٨-٤٤-٩٩٦٠